

# قَالَتِ الْمَنَابِرُ

(المجموعة الخامسة)

\*\*\*

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

••k••

# قالت المنابر

مجموعه من خطب الجمعة أُلقيت في جامع  
الأمير الراحل صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة  
رحمه الله تعالى

(المجموعة الخامسة)

ألقاها الراجي عفو ربه

راشد بن محمد بن فطيس الهاجري

حفظه الله وغفر لوالديه

خطيب جامع عيسى بن سلمان آل خليفة

الرفاع الغربي - مملكة البحرين









## مقدمة المجموعة الخامسة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدهُ ورسولهُ، صَلَّى اللهُ وسلَّمَ وباركَ عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

**وبعدُ؛** فللهُ الحمدُ والفضلُ والمنةُ على عونه وتأييده وتيسيره إخراجَ المجموعة الخامسة من كتابي **(قالت المنابر)**، والتي تضمُّ ثلاثينَ خطبةً مُجمعةً، خطبتها في جامع الأمير الرَّاحِل صاحبِ السُّموِّ الشَّيخِ عيسى بنِ سلمان آلِ خَلِيفَةَ -رحمه اللهُ تعالى-، سائلًا المولى -عزَّ وجلَّ- أنْ يكتُبَ لي ولوالدي ولزوجتي ولأولادي ولإخواني وأخواتي أجرها وثوابها، وأنْ يُثقلَ بها موازينَ حسناتنا يومَ نلقاهُ، وأنْ يجعلها لنا صدقةً جاريةً ننتفعُ بها في دُنْيَانَا وأخرانَا، وأنْ يَنفَعَ بها كُلَّ مَنْ أسهمَ وساعدَ في إخراجها وطباعتها، وكُلُّ مَنْ قرأها وأطلعَ عليها... اللّهُمَّ آمين.

**ملاحظة:** للاطلاع على فكرة هذه المجموعة أرجو من القارئ الكريم قراءة مُقدِّمة المجموعة الأولى. والحمدُ لله ربِّ العالمين.

وكتبه: الراجي عفوَ ربه

**راشدُ بنُ محمد بنِ فطيس الهاجري**

حفظه اللهُ وغفر لوالديه

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

الرفاع الغربي - مملكة البحرين



## مقدمة المجموعة الأولى

الحمدُ لله ربَّ العالمين، والصلاةُ والسَّلَامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعدُ:**

فقد بدأتُ الخطابة -بصفةٍ رسميةٍ- قبلَ عشرينَ سنةً تقريباً، وذلك حينَ التحقتُ بشعبةِ الإرشادِ والثقافةِ بالحرسِ الوطنيِّ، وكانَ منَ جملةِ مهامِّي الوظيفيةِ إلقاءُ خطبةِ الجمعةِ في جامعِ معسكرِ الحرسِ الوطنيِّ، إلى أنَ تشرفتُ بصدورِ التوجيهِ السَّاميِ الكريمِ لصاحبِ الجلالةِ الملكِ محمد بن عيسى آل خليفة ملكِ مملكةِ البحرين -حفظه اللهُ ورعاهُ- بتعييني خطيباً رسمياً لجامعِ المغفورِ له -بإذنِ الله تعالى- صاحبِ السموِّ الأميرِ الراحلِ الشيخِ عيسى بن سلمان آل خليفة طيبَ اللهُ ثراهُ، وذلك في عام ١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠م.

وفي خلالِ هذه الفترة التي قضيتها خطيباً أدركتُ تماماً أهميةَ خطبةِ الجمعةِ وخطورةَ التَّهاونِ فيها، فلقد كنتُ أقابلُ في كلِّ جمعةٍ عقولاً راجحةً جديرةً بالاحترامِ والاهتمامِ، فكنتُ أهتمُّ كثيراً بموضوعِ الخطبةِ، ولا أبالغُ إذا قلتُ: إنِّي أفكّرُ في موضوعِ الخطبةِ التاليةِ منذُ بدايةِ الأسبوعِ، ولقد زادني تعظيماً لشأنِ الخطبةِ أنَّ هذا المقامَ هو مقامِ النبيينِ والمرسلين، وهو توقيعٌ عن ربِّ العالمين، ووسيلةٌ عظيمةٌ لنشرِ الحقِّ وإذاعةِ الدينِ.



هذا المقام مقام الرُّسلِ قاطبةً      وفوقه حاربوا كيدَ الشَّيَاطِينِ  
وموطنُ النَّصْحِ والإرشادِ من زمنٍ      ومنبرُ الحَقِّ والتَّعلِيمِ للدينِ

والحقُّ أَنِّي استفدْتُ كثيرًا منَ خطبِ العلماءِ ودروسِهِمْ وكتبِ الدُّعَاةِ  
ومقالاتِهِمْ، فكنْتُ أَلْخُصُّ بعضَ الكتبِ والمقالاتِ والخطبِ وأعيدُ صياغَتَهَا؛  
ليتناسبَ المقالُ معَ المقامِ، ولا أدَّعي أَنِّي جئتُ في هذهِ الخطبِ بالجدِيدِ أَبَدًا، وإِنَّمَا  
هي نُقولٌ جمعُتها وألَّفتُ بينها وقدمتها على هيئةِ خطبةٍ.

ولمَّا كنتُ أَلقي هذهِ الخطبَ ارتجالًا منَ ذاكرتي دونَ كتابتِها أشارَ على بعضِ  
الإخوةِ بتسجيلِها، ثمَّ تفرغَها في كتابٍ ليستفادَ منها.

زكاةُ العلمِ بذلٌّ ثمَّ نشرٌ      وما كالعِلمِ في أخراكِ دُخْرُ  
تُفيدُ بهِ الخلائقَ كلَّ حينٍ      ويبقى منه بعدَ الموتِ أجرٌ

ولقد كنتُ مترددًا كثيرًا في تلبيةِ طلبِهِمْ إلى أن شرحَ اللهُ صَدْرِي لذلكِ،  
فقمتُ بتفريغِ المجموعةِ الأولى من هذهِ الخطبِ - وعددها تسعَ وأربعونَ خطبةً -  
في هذهِ المؤلِّفِ، وتكررتُ البقيَّةُ للمجموعاتِ القادمةِ بإذنِ اللهِ تعالى.

ولا يَسْعُنِي في هذا المقامِ وبعدَ شكْرِي اللهُ على ما منَّ بهِ عليّ من فضلٍ إخراجِ  
هذهِ المجموعةِ من الخطبِ إلا أن أشكُرَ جميعَ من ساعدني وساهمَ في إخراجِ هذهِ  
الخطبِ سائلًا اللهُ لي ولهمُ الأجرَ والثَّوابَ السَّدادَ والصَّوابَ.

تولاني الأجابةُ والصَّحابُ      أعانوني فصاحبني الصَّوابُ  
وخيرُ الصَّحبِ من يؤتيك نصحًا      يفيدُك حينَ يغشاك الترابُ

وفي الختام أرجو ممن سيقراً هذه الخطب أن يعذرني إن وجد خطأ وخللاً؛  
فقد ألقى هذه الخطب - كما تقدم - حفظاً من ذاكرتي.

**وإن تجد عيباً فسُدَّ الخلالاً جَلَّ مَنْ لا عيبَ فيه وعَلا**

وعليه فأرجو ممن رأى شيئاً أن يبذل النصيحة ويوافيني بما وجد؛ لأتدارك  
ذلك في الطبعة القادمة إن شاء الله.  
والحمد لله رب العالمين.

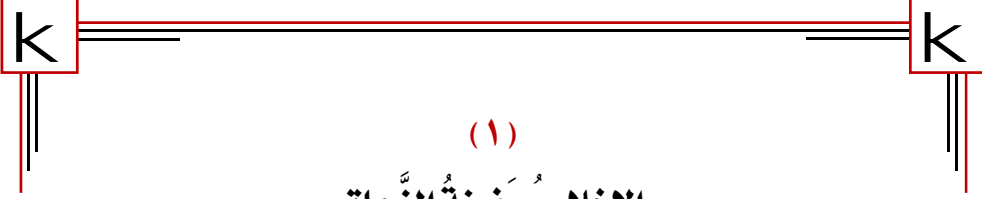
وكتبه

**راشد بن محمد بن فطيس الهاجري**

الرفاع الغربي - مملكة البحرين

جمادى الأولى ١٤٣٨هـ / فبراير ٢٠١٧م

•• k ••



(١)

## الإخلاصُ سفينةُ النجاةِ

•• k ••

يحتاجُ العبدُ منّا في هذه الحياةِ الدُّنيا - وفي وسطِ هذه الأمواجِ المتلاطِمةِ، وفتنِ الليلِ والنهارِ من فتنِ الشهواتِ والشبهاتِ -، يَحتاجُ إلى سفينةِ النجاةِ التي يركبُها بسلامٍ، ويعبرُ بها بسلامٍ، حتّى توصله إلى دارِ السلامِ، وسفينةُ النجاةِ التي نحنُ بصددِ الحديثِ عنها هي الإخلاصُ، فإخلاصُك في عملِكَ، وفي قولِكَ، وفي أخذِكَ وعطائكِ، وفي حركاتِكَ وسكناتِكَ، وفي مدحكِ وذمِّكَ، وفي حُبِّكَ وبُغْضِكَ، هو سفينةُ النجاةِ، فإذا أعطيتَ فاجعله اللهُ، وإذا أخذتَ فاجعله أيضاً اللهُ، وإذا تكلمتَ فاجعلْ كلامَكَ اللهُ، وإذا سكّيتَ فاسكُتْ اللهُ، وإذا أيدتَ فأيّدْ اللهُ، وإذا اعترضتَ فاعترضْ اللهُ، ولا تجعلْ ذلكَ لغيرِ اللهِ سبحانه، فسفينةُ النجاةِ أن تجعلَ عملَكَ اللهُ، فاللهُ سبحانه وتعالى يقولُ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «لا يَنفَعُ قولٌ إلا بعملٍ، ولا عملٌ إلا بقولٍ، ولا قولٌ ولا عملٌ إلا بنيةٍ، ولا نيةٌ إلا بما وافقَ السُّنةَ»<sup>(١)</sup>، فشأنُ الإخلاصِ عظيمٌ.

(١) أخرجه الأجرى في الشريعة رقم (٢٥٧)، وابن بطة في الإبانة (٢/٨٠٣، رقم ١٠٨٩)، عن علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما.

فالإخلاص أن تكون هذه النية متجردة لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حتى قال بعض السلف **رَحْمَةُ اللَّهِ**: وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم، ويقعد إلى التدريس في أعمال القلوب، فإنه ما أتى كثير من الناس إلا من تضييع النيات<sup>(١)</sup>.

قال سفيان **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «ما أخلص عبدُ الله أربعين يوماً إلا أنبت الله في قلبه الحكمة إنباتاً، وأنطق لسانه بها، وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها»<sup>(٢)</sup>.  
والإخلاص له أسباب:

أولاً: لأن الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أمر به، وحسبنا جميعاً بعض هذه الآيات في سورة البينة يقرؤها الصغير والكبير، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، هذا الدين الذي يُريده الله.

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة الزمر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣]، فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يتخذ له من الدين إلا ما كان خالصاً من كل شائبة.

وفي سورة الملك قال الحق سبحانه: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الملك: ١-٢].  
قال الفضيل بن عياض **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أخلصه وأصوبه»،

(١) انظر: المدخل لابن الحاج (٣/١).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/٢٨٧).

قالوا: يا أبا عليٍّ، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا، وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا، وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ مَا كَانَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ مَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ»، ثُمَّ قرأ **رَحْمَةُ اللَّهِ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠)** [الكهف: ١١٠] <sup>(١)</sup>.

وفي سُورَةِ النِّسَاءِ قَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** [النساء: ١٤٥-١٤٦].  
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ -: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ**» <sup>(٢)</sup>.

ثَانِيًا: تَوَقَّفُ قَبُولِ الْعَمَلِ إِلَّا بِهِ، فَالْعَمَلُ لَا يُقْبَلُ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ.  
 فَقَدْ جَاءَ فِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَا لَهُ؟» قَالَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا شَيْءَ»**، فَأَعَادَهَا الرَّجُلُ ثَلَاثًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا شَيْءَ، إِنْ اللَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**» <sup>(٣)</sup>، فَلَا تُقَدِّمُ خُطْوَةً

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخلاص رقم (٢٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (٩١/٢٧)، وأبو نعيم في الحلية (٩٥/٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٣) أخرجه النسائي: كتاب الجهاد، باب من غزا يلمس الأجر والذكر، رقم (٣١٤٠).

واحدةً في حياتك إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ عَجِيبٌ وَعَزِيزٌ.  
 ثالثاً: لا يمكن أن يُحْصَلَ الإنسانُ الأجرَ إلاَّ بعبادة الإخلاصِ.  
 فوالله لو عملَ العاملُ في ليله ونهاره - ولم يتوقَّفْ عن العملِ بجوارحه  
 ولسانه وفكره وذكره-، فإن لم يكن ذلك لله فإنه لا يجدُ على ذلك شيئاً من الأجرِ،  
 نعم قد يجدُ أجرَ الدنيا، بأن يُثنى عليه، أو يُمدح، أو يجدُ من الدنانيرِ والدراهمِ،  
 لكنَّه في الآخرة ليس له شيءٌ.

والدليلُ على ذلك نقرأه في سورة هودٍ، وفي سورة الشورى، قال اللهُ  
**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة هودٍ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا  
 وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا  
**وَنَبَطُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [هود: ١٥-١٦]، فقد يكونُ خطيئاً، أو إماماً، أو مصلياً من  
 أهلِ الصفِّ الأولِ، لكنَّه لم يُرِدْ بذلك وجهَ الله.

أمَّا في سورة الشورى فقال الحقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ  
 نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾  
 [الشورى: ٢٠].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عَزَّجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ  
 إِلَّا لِيَصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٨)، وأبو داود: كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى، رقم  
 (٣٦٦٤)، وابن ماجه: المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، رقم (٢٥٢)، والحاكم في المستدرک  
 (١/ ٨٥)، والبيهقي في الشعب رقم (١٦٣٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

رابعاً: حتى ترتاح هذه النفس.

فإذا جعلت نفسك تلتفت إلى فلانٍ وفلانٍ، أو إلى هذه الجهة وتلك تعبت، فاجعل نفسك هذه لا تلتفت إلا إلى الله، فإن النفس التي تلتفت هنا وهناك تتعب وتشقى، قد يعطي عطاءً هنا ولا يمدحُه أحدٌ فيغضب؛ لأنه التفت إلى مدحه، وقد يُحسنُ عشرين سنةً، أو ثلاثين سنةً، لكنه لم يجد منهم إلا الذمَّ؛ فيغضب، فلا تلتفت إلى المادح، ولا إلى الذام، بل التفت إلى الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وسترتاح.

قال الحق **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى** في سورة الإنسان: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْبِهِ مَسْكِينًا أَيْمَانًا وَأَسِيرًا﴾ لكن قال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ إذا ما تريدون؟ قالوا:

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا﴾ ﴿١٠﴾ فَوَقْنَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكِ الْيَوْمِ وَلَقْنَهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَرْنَهُمْ **بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا** ﴿[الإنسان: ١٠-١٢]؛ لأن هذا العمل يحتاج إلى صبر.

وبعض الناس يغضب ويتضايق إذا لم يمدح، وقد يترك المكان الذي يتردد عليه؛ لأن فلاناً لم يمدحه، أو لأن فلاناً لم يجلس عنده، أو لأن فلاناً ذكر فلاناً وفلاناً ولم يذكره، فيجعل هذا الأمر في خاطره. فعليك أن تتجرد من ذلك كله، واجعله لله.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

فإذا أردنا النجاة، فوالله لا نجاة إلا بسفينة النجاة، وهي الإخلاص.



(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٦٥)، من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



(٢)

فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

•• k ••

جاء في صحيح البخاري أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَرَفَنَا بِنَفْسِهِ مِنْ خِلَالِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالْعَبْدُ بَتَعَرُّفِهِ عَلَى أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ يَتَعَرَّفُ عَلَى خَالِقِهِ وَمَوْلَاهُ، فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: «يَا مُحَمَّدُ، انْسُبْ إِلَيْنَا رَبَّكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾<sup>(٢)</sup> وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿ [الإخلاص: ١-٤] <sup>(٢)</sup>.

والأسماءُ الحُسنى مِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً، رقم (٧٣٩٢)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، رقم (٢٦٧٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (١٣٣/٥)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الإخلاص، رقم (٣٣٦٤).



وقد مرَّ رسولُ الله ﷺ - والحديثُ عندَ الترمذِيِّ، مِن حديثِ بُريدةِ الأَسلمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَسَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»<sup>(١)</sup>.

وَمِنَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى «الْحَفِيفُ»، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَكَرَ هَذَا الْاسْمَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ [هود: ٥٧]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ [سبأ: ٢١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى: ٦].

فَهُوَ الْحَفِيفُ يَحْفَظُنَا، وَيَحْفَظُ مَا حَوْلَنَا، وَيَحْفَظُ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا، وَيَحْفَظُ عَلَيْنَا أَعْمَالَنا، وَيُحْصِيها لَنَا، وَيَحْفَظُ لَنَا نِعْمَهُ عَلَيْنَا ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً. وَكُلُّ اسْمٍ مِنَ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَثَرٌ فِي حَيَاتِنَا، فَالشُّكُورُ لَهُ أَثَرٌ، وَالسَّمِيعُ لَهُ أَثَرٌ، وَالْعَلِيمُ لَهُ أَثَرٌ، وَالْحَفِيفُ لَهُ أَثَرٌ.

فَمَا هُوَ أَثَرُ اسْمِ الْحَفِيفِ عَلَيْنَا وَفِي حَيَاتِنَا؟

الْأَثَرُ الْأَوَّلُ: أَنَّنَا نُوَقِّنُ أَنَّنَا وَمَا حَوْلَنَا مَحْفُوظُونَ بِحِفْظِ اللهِ لَنَا، فَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي حَوْلَنَا، وَهَذَا الْخَلْقُ الْعَظِيمُ، بِهَا فِيهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ مِنَ الْكَوَاكِبِ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥ / ٣٤٩)، وَأَبُو دَاوُدَ: كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الدُّعَاءِ، رَقْمُ (١٤٩٣ - ١٤٩٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الدُّعَوَاتِ، بَابُ جَامِعِ الدُّعَوَاتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، رَقْمُ (٣٤٧٥)، وَابْنُ مَاجَةَ: كِتَابُ الدُّعَاءِ، بَابُ اسْمِ اللهِ الْأَعْظَمِ، رَقْمُ (٣٨٥٧).

السيارة، وهذه الأَرْضُونَ السبع، وما فيها وما عليها، كل ذلك محفوظٌ بحفظِ الله المولى.

قال الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رُوسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ [الأنبياء: ٣١-٣٣]، هذا كله بحفظِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا، فقد حفظَ علينا صحتنا، وحفظَ علينا نِعَمَهُ علينا، فتجدُ الواحدَ مناَّ يحدُرُ أن لا يُؤتَى من هذا الجانبِ، فهو حريصٌ على صحته، لا يأكلُ إلا ما صحَّ من الأَطْعِمَةِ، ويمارسُ الرياضةَ، فإذا به يُؤتَى من حيثُ كانَ يحدُرُ؛ لأنَّه ظنَّ أنَّه يحفظُ صحته من دونِ الله، والآخِرُ سعى في رزقه، وحافظَ على مُمتلكاته، وهو غافلٌ أنَّ من يحفظُ هذا المالَ وهذا الرِّزْقَ هو اللهُ، فيؤتَى من حيثُ يحدُرُ.

قال الحقُّ سبحانه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، فالحافظُ لهذه النِّعمِ هو اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيصيرُ عندَ المؤمنِ يقينٌ أنَّ من أساء اللهُ الحفيظَ، فيكلُّ أمره إلى الحفيظِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يحفظَ له ما أنعمَ به عليه.

الأثر الثاني: أن نوقن أن أعمالنا محفوظةٌ ومحصاةٌ عندَ الحفيظِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَهْمَا عَظُمَ هَذَا الْأَمْرُ أَوْ حَقَرَ، وَمَهْمَا كَبَرَ هَذَا الْأَمْرُ أَوْ صَغَرَ، فكلُّ شيءٍ مكتوبٌ

عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَتَّى هَذِهِ النِّيَّةُ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ مَسْجَلَةٌ، وَحَتَّى الْإِبْتِسَامَةُ مَسْجَلَةٌ، وَالضَّحْكُ مَسْجَلٌ مَكْتُوبٌ وَمَحْفُوظٌ وَمَحْصَى، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وَفِي سُورَةِ «يَس» قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَيَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَجَادِلَةِ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ النَّبَأِ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النبا: ٢٩]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْإِنْفِطَارِ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنُوبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

فَقَدْ تَفَعَّلَ الْحَسَنَةَ وَتَنَسَاهَا، لَكِنَّ اللَّهَ لَا يَنْسَاهَا، قَدْ تَفَعَّلَ الْمَعْرُوفَ وَتَنَسَاهُ، وَرَبِّمَا ذَكَرَكَ صَاحِبُ الْمَعْرُوفِ بَعْدَ عَشْرِينَ سَنَةً بِمَعْرُوفِكَ، فَتَقُولُ: أَنَا فَعَلْتُ لَكَ ذَلِكَ؟ لَقَدْ نَسِيتُ. فَيُقَالُ لَكَ: وَلَكِنَّ الْحَفِيزَ حَفِظَهُ لَكَ سُبْحَانَهُ.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»<sup>(١)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ (٢٥٧٧)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأثر الثالث من آثار اسم الحفيظ علينا وفي حياتنا: أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** شرع لنا أمراً، فبقدر حفظنا له يحفظنا، أي: بقدر حفظك لحدود الله تحفظ، وبقدر حفظك لأوامر الله تحفظ، وبقدر حفظك لطاعة الله تحفظ، هكذا قال النبي **ﷺ** لابن عباس كما جاء في سنن الترمذي: **«يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ»**<sup>(١)</sup>، أي: احفظ الله في شأنك كله يحفظك في شأنك كله.

وشرع الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** لنا أسباباً شرعية متى ما أخذنا بها حفظنا، على سبيل ذلك قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«إِنَّ اللَّهَ إِذَا اسْتَوْدَعَ شَيْئًا حَفِظَهُ»**<sup>(٢)</sup> هذا سبب من الأسباب المشروعة، فإذا أردت أن تحفظ شيئاً قل: **«اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَوْدِعُكَ هَذَا الْأَمْرَ»**، فاستودع الله أولادك، وأموالك، وعرضك، وصحتك، قل: **«اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَوْدِعُكَ صِحَّتِي وَعَافِيَّتِي وَأَوْلَادِي وَمَالِي وَذُرِّيَّتِي»**، فإن الله إذا استودع شيئاً حفظه، إنه هو الحفيظ.

وجعل لنا ربنا **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أسباباً مشروعة تحفظنا من شر الشيطان عدونا الأول، فقال: إذا دخلت المسجد فقل عند باب المسجد: **«أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»**، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«فَإِذَا قَالَ الدَّاخِلُ ذَلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حَفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»**<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٥١٦)، من حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٨٧)، من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد، رقم (٤٦٦)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

وجعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لك أسباباً مشروعةً، فبقدر ما تُحفظُ والدك تُحفظُ، قال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ أَحْفَظْهُ»<sup>(١)</sup>، فبقدر حفظك لو الديك تُحفظُ.

وإذا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ لَكَ دَعَاءً مَشْرُوعًا تُحْفَظُ بِهِ، قَالَ ﷺ: «قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَنْ قَالَ هَذَا الدَّعَاءَ وَهُوَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ قِيلَ لَهُ: «هُدَيْتَ وَوُقِيْتَ وَكُفِّيْتَ» قَالَ: «فَتَنَحَّى الشَّيَاطِينَ عَنْهُ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا ظَنُّكُمْ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَوُقِيَ وَكُفِيَ»<sup>(٢)</sup>؛ فَهُوَ الْحَفِيزُ سَبْحَانَهُ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُحْفَظَ بِحِفْظِ اللَّهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَلْتَزِمَ بِهَذِهِ الْأَسْبَابِ الْمَشْرُوعَةِ الَّتِي شَرَعَهَا الْحَفِيزُ سَبْحَانَهُ.

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْمَشْرُوعَةِ فِي حِفْظِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ صَالِحًا، فَبِصَلَاحِكَ تُحْفَظُ، وَبِصَلَاحِكَ تُحْفَظُ لَكَ ذُرِّيَّتُكَ، وَبِصَلَاحِكَ تُحْفَظُ لَكَ الْبَيْتَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا؛ وَقَدْ مَرَّ مِنْ قَبْلُ مَا قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لِيَحْفَظُ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ وَلَدَهُ، وَوَلَدَ وَلَدِهِ، وَالدَّوِيرَاتِ الَّتِي حَوْلَهُ، فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظِ مَنْ اللَّهِ وَسِتْرٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٤٤٥ / ٦)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، رقم (١٩٠٠)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب بر الوالدين، رقم (٣٦٦٣)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، رقم (٥٠٩٥)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته، رقم (٣٤٢٦)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (٣٣٠)، وابن أبي شيبة في المصنف رقم (٣٦٥٦٤).

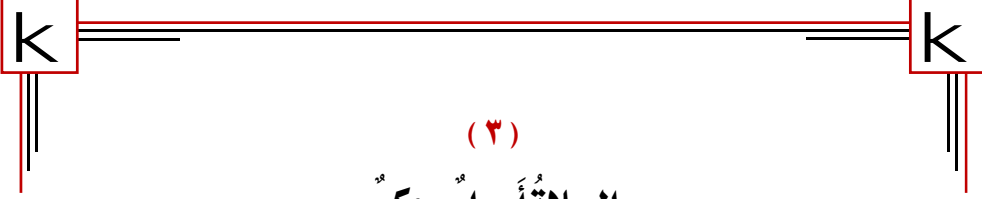
فالرجلُ الصالحُ في الحيِّ، أو في المؤسَّسة، أو في المجلسِ مكسبٌ، فإنَّ اللهَ يحفظُ هذا الرجلَ الصالحَ وولده وولدَ ولده والدويراتِ التي حوله، فما يزالونَ في حفظٍ من اللهِ وسِتْرٍ.

بل قال سعيدُ بنُ المسيبِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** لابنه: «يا بُنَيَّ، واللهِ إني لأزِيدَنَّ في صَلَاتِي مِنْ أَجْلِكَ، رجاءً أن أحفظَ فيك»، ثم تلا قولَ الحقِّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] <sup>(١)</sup>.

فهو يُكثِرُ مِنْ صَلَاتِهِ، ويتقربُ إلى اللهِ بهذا الصلاحِ حتَّى يُحفظَ في ذُرِّيَّتِهِ، مُستشهدًا بقولِ الحقِّ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، فقد حفظَ اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** مآلَ هذهِ الذُرِّيَّةِ بِذاكِ الأبِ الصالحِ الَّذِي كَانَ لَهُمْ. **إِذَا:** أسماءُ اللهِ الحُسنى عَظِيمَةٌ، ولكُلِّ اسمٍ مِنْ هذهِ الأسماءِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَمْرٌ فِي حَيَاتِنَا، وَفِي وَاقِعِنَا، وَفِي سَلُوكِنَا، وَمِنْ ذَلِكَ اسْمُهُ «الْحَفِيفُ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/٤٦٧).



(٣)

## الصلاة أسرار وحكم

•• k ••

إِنَّ المتأمل والناظر في مساجدنا يرى أَنَّ أعدادَ المصلِّين يَزِيدون ولا يَنْقُصون، وهذا بفضلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومِنْتِهِ، وكلَّمَا فُتِحَ مسجدٌ جاءه عددٌ من المصلِّين، وامتلاً بالمصلِّين، وما ذاك إِلَّا لعَظِيمِ فضلِ الصلاةِ، وعَظِيمِ خَيْرِها.

واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ استودَعَ في الصلاةِ أسراراً عظيمةً، منها:

أولاً: أنَّها بوابةُ دخولِ الإسلامِ بعدَ التوحيدِ -أي: بعدَ الشهادتينِ-، قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفُصِّلُ الْأَيْدِي لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١].

ثانياً: أنَّها أعظمُ دعائمِ الإسلامِ، وأعظمُ أركانِهِ كما جاءَ في حديثِ ابنِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عندَ البخاريِّ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»، رقم (٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، رقم (١٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

ثالثاً: أنّها من أعظم ما يُحفظُ به الدينُ، فمن أعظم الأسرارِ التي تُثبتُ على الدينِ الحفاظُ على الصلاةِ، ورُويَ في مُوطأ الإمامِ مالكٍ **رَحِمَهُ اللهُ** أَنَّ عَمَرَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** كَانَ يَكْتُبُ إِلَى عَمَّالِهِ قَائِلاً: «إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ، فَمَنْ حَفِظَهَا وَحَافِظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ»<sup>(١)</sup>.

فإذا حُفِظَتِ الصَّلَاةُ حُفِظَ الدِّينُ، وإذا رَأَيْتَ عَبْدًا يُضَيِّعُ الصَّلَاةَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ.

رابعاً: أنّها عمودُ الإسلامِ، وبغيرِ هذا العمودِ ينهدمُ الإسلامُ على صاحبه، فَقَدْ جَاءَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ **ﷺ**: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»<sup>(٢)</sup>.

وقد سَمَّى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الصَّلَاةَ إِيمَانًا فَقَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ<sup>٤</sup> إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أَي: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضَيِّعَ صَلَاتِكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. فَسَمَّى الصَّلَاةَ إِيمَانًا. قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ **رَحِمَهُ اللهُ**: وَسَمَّى الصَّلَاةَ إِيمَانًا لِأَشْتِهَائِهَا عَلَى نِيَّةٍ وَقَوْلٍ وَعَمَلٍ<sup>(٣)</sup>.

خامساً: أَنَّ الصَّلَاةَ قَائِدٌ تَنْقَادُ إِلَيْهَا سَائِرُ الْأَعْمَالِ، فَإِذَا صَلَحَتِ الصَّلَاةُ

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٦/١)، رقم ٦، وعبد الرزاق في المصنف رقم (٢٠٣٨)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/١٩٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٣١)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم (٢٦١٦)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم (٣٩٧٣).

(٣) تفسير القرطبي (٢/١٥٧).



صَلَحَتِ الْأَعْمَالُ التَّابِعَةُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَتْ سَائِرُ عَمَلِهِ»<sup>(١)</sup>.

فالعاقل هو من يُحافظُ على صلاته، فإن الأعمال كل الأعمال تنقاد لهذه العبادة العظيمة. فقد قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللهُ: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَيُّ شَيْءٍ يَعِزُّ عَلَيْكَ مِنْ دِينِكَ إِذَا هَانَتْ عَلَيْكَ صَلَاتُكَ؟»<sup>(٢)</sup>.

سادساً: أنها شريعة، وعبادة اتفقت عليها الشرائع، واتفقت عليها كلمة الأنبياء والمرسلين.

ففي قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ [إبراهيم: ٤٠].

ووصف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ [مريم: ٥٥].

وَتَحَدَّثَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فحاطبه بقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وخطبت الملائكة مريمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فقالت: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (١٨٥٩)، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وأخرجه الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، رقم (٤١٣)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، رقم (٤٦٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بلفظ: «فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر».

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم (٢٩٠٧).

أَصْطَفَيْكَ وَطَهَّرَكَ وَأَصْطَفَيْكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرِيْمُ أَقْنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي  
مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ [آل عمران: ٤٣: ٤٢].

وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ  
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

وقال رسولُ الله ﷺ - كما جاء عند أبي داود الطيالسي في مسنده -: «إِنَّا  
مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نَعْبُدَ الْإِطَارَنَا، وَنُوَخَّرَ سُحُورَنَا، وَنَضَعَ أَيِّمَانَنَا عَلَى شَمَائِلِنَا  
فِي الصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>، فهي شريعة وعبادة عند الرسل الكرام في تلك الشرائع العظيمة.

سابعاً: أنها تحفظ للعبد دينه وعرضه وماله، فهو محفوظ بهذه الصلاة، جاء  
في صحيح البخاري، قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتِنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتِنَا،  
وَأَكَلَ ذَبِيحَتِنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفَرُوا اللَّهَ فِي  
ذِمَّتِهِ»<sup>(٢)</sup>، فليتامل هذا هؤلاء الشباب الذين نزع عقولهم وضاعت أفهامهم، ولم  
يجدوا إلا تكفيراً للمجتمعات وأهلها.

ثامناً: من أسرار الصلاة العظيمة أن صاحبها يكتب في الصديقين  
والشهداء، فقد جاء في حديث عمرو بن مرة الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن حبان في  
صحيحه: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ

(١) أخرجه الطيالسي في المسند رقم (٢٧٧٦)، وابن حبان في صحيحه رقم (١٧٧٠)، والطبراني في  
الأوسط رقم (١٨٨٤)، والدارقطني في السنن (١/ ٢٨٤)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، رقم (٣٩١)، من حديث أنس  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأَدَّيْتُ الزَّكَاةَ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَقُمْتُهُ، فَمِمَّنْ أَنَا؟ قَالَ: «مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشَّهَادَةِ»<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: أنها تطهرنا من الخطيئة، فيما منّا من أحدٍ إلا وله ذنبٌ وخطيئةٌ، بل ما منّا من أحدٍ إلا وله ذنوبٌ وخطايا، فتأتي هذه الفريضة العظيمة وتطفى نيرانَ الخطايا، وهذا من رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وانظروا هذه البُشرى، وهذه المنحة والعطية، والجائزة التي تخلف عنها بعض الناس، جاء عند الطبراني في معجمه الأوسط من حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا يُنَادِي عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمُ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَأَطْفِئُوهَا بِالصَّلَاةِ»<sup>(٢)</sup>.

فالصلاة تُطفى نارَ الخطايا، والذي يُصلي يأخذ هذه المنحة، ففي كل ركعة وسجدة أنت تقوم على إطفاء نيرانِ الذنوبِ التي وقعت فيها، دلّ على ذلك حديث آخر عند الطبراني في (معجمه الصغير)، من حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْفَجْرَ غَسَلْتُمُوهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ غَسَلْتُمُوهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ غَسَلْتُمُوهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْمَغْرِبَ غَسَلْتُمُوهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعِشَاءَ غَسَلْتُمُوهَا، ثُمَّ تَنَامُونَ فَلَا يُكْتَبُ عَلَيْكُمْ حَتَّى تَسْتَيْقِظُوا»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح ابن حبان رقم (٣٤٣٨).

(٢) المعجم الأوسط للطبراني رقم (٩٤٥٢).

(٣) المعجم الصغير للطبراني رقم (١٢١)، وأخرجه أيضاً في المعجم الأوسط رقم (٢٢٢٤).

فَمَنْ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى هَذِهِ الْمُنْحَةِ، وَيَشْمُرُ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ وَيَقُولُ: لَنْ أَدَعَ  
الصَّلَاةَ حَيَاتِي كُلَّهَا؟! إِنَّهَا عَطَايَا مِنَ الرَّبِّ الْكَرِيمِ، وَأَسْرَارٌ عَظِيمَةٌ اسْتَوْدَعَهَا فِي  
هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ.





(٤)

## وصية والد

•• k ••

جاء في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ النَّبِيَّ **ﷺ** قَالَ: **«إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أَعَلَّمَكُمُ»**<sup>(١)</sup>، وَمِنْ شِيَمِ الْآبَاءِ نَحْوَ أَبْنَائِهِمْ، وَأَوْلَادِهِمْ أَنْ يُعَلِّمُوهُمْ نُصْحًا لَهُمْ وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ، وَحِفْظًا لَهُمْ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اسْتِجَابَةً لِأَمْرِ المَوْلَى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»** [التحريم: ٦].

إِنَّ فِعْلَ الْآبَاءِ هُوَ الْقِيَامُ عَلَى تَعْلِيمِ الْأَوْلَادِ وَتَأْدِيبِهِمْ؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ فَلَاحٍ وَسَعَادَةٍ إِلَّا وَوَجَدْتَ قَرِينَهَا حُسْنَ الْأَدَبِ، وَمَا مِنْ شَقَاوَةٍ وَبَوَارٍ إِلَّا وَوَجَدْتَ قَرِينَهَا سُوءَ الْأَدَبِ، هَكَذَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ **رَحِمَهُ اللَّهُ** فِي كِتَابِهِ «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»؛ قَالَ: «وَأَدَبُ الْمَرْءِ عُنْوَانُ سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ، وَقَلْبُهُ أَدَبُهُ عُنْوَانُ شَقَاوَتِهِ وَبَوَارِهِ، وَمَا اسْتُجْلِبَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الْأَدَبِ، وَمَا اسْتُجْلِبَ حِرْمَانُهَا بِمِثْلِ قَلْبَةٍ الْأَدَبِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٥٠)، وأبو داود: كتاب الطهارة، باب كراهة استقبال القبلة، رقم (٨)، والنسائي: كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستطابة بالروث، رقم (٤٠)، وابن ماجه: كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالحجارة، رقم (٣١٣).

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٦٨).

وأعظم أساليب تعليم الآباء لأبنائهم الوصية لهم في ليالهم ونهارهم بفعل الخيرات وترك المنكرات، وكلمة الوالد إذا خرجت من القلب وقعت في القلب كما قيل: «الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لا تتجاوز الأذن».

فإذا قرأت في كتاب الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أو اطلعت في سيرة النبي **ﷺ**، أو تتبعت سير الصالحين وجدت أن الوصية للأولاد عامل مشترك عند الجميع، قال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** [البقرة: ١٣٢].

وتأمل سيرة النبي **ﷺ** ووصاياه الكثيرة لأحد الصحابة، فوصيته للواحد من الصحابة وصية للأمة، فقد جاء في حديث أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند الترمذي قال **ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بحلحلي حسن»**<sup>(١)</sup>.

وفي حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** عند الترمذي قال **ﷺ: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تحمده مجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»**<sup>(٢)</sup>. وقال أبو سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كما جاء في مسند أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ: «أوصاني رسول الله ﷺ قائلاً: «أوصيك بتقوى الله، فإنها رأس كل شيء، وعلىك بالجهاد**

(١) أخرجه أحمد (٥ / ١٥٣)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشره الناس، رقم (١٩٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (١ / ٢٩٣)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٥١٦).

فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ رُوحُكَ فِي السَّمَاءِ،  
وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في صحيح ابنِ حَبَّانَ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -أي: بِخِصَالِ الْخَيْرِ-، أَوْصَانِي: لَا تَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ وَانظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالذُّنُوبِ مِنْهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

الشاهدُ من ذلك: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَظَّمَ شَأْنَ الْوَصِيَّةِ، فَجَعَلَهَا فِي كِتَابِهِ، وَجَعَلَهَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَحَرِيٌّ بِكُلِّ أَبِي مُحَبِّ أَنْ يَجْمَعَ مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا وَيُسَدِّيهَا لِأَبْنَائِهِ.

وَلَا تَنْتَظِرُ أَنْ تَرَى أَثَرَ وَصِيَّتِكَ الْيَوْمَ، لَكِنَّهَا سَتَبْقَى حَاضِرَةً فِي قَلْبِ وَلَدِكَ، رُبَّمَا بَعْدَ وَفَاتِكَ، وَرُبَّمَا لَا يَنْتَفِعُ بِهَا إِلَّا بَعْدَ زَمَنِ بَعِيدٍ، قَدَّمَهَا أَنْتَ كَمَا تَضَعُ هَذِهِ الْبَذْرَةَ لِهَذَا الزَّرْعِ الَّذِي رُبَّمَا لَا تَأْكُلُ مِنْهُ، وَلَكِنْ تَأْكُلُ مِنْهُ أَجْيَالٌ قَادِمَةٌ، وَهَذِهِ سِمَاتُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

وَجَاءَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: أَمْرُكَ بِاِثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: أَمْرُكَ بِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً، فَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٨٢).

(٢) صحيح ابن حبان رقم (٤٤٩).

وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشَّرِكِ  
وَالكَبِيرِ»<sup>(١)</sup>.

فأوصاهُ بلا إله إلا الله، وأوصاهُ بسُبْحَانَ اللَّهِ وِبحَمْدِهِ، ونَهَاهُ عَنِ الشَّرِكِ  
وَالكَبِيرِ، هذا هو ديدن الصالحين.

وهذا الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُوصِي ابنه قائلاً: «إِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَكُنْ  
عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ، وَتَعَلَّمَ حُسْنَ الْاسْتِجَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ  
الصَّمْتِ، وَلَا تَقْطَعْ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثًا وَإِنْ طَالَ حَتَّى يُمْسِكَ»<sup>(٢)</sup>، إِنَّهَا وَصَايَا، نَعَمْ  
هِيَ قَصِيرَةٌ فِي مَبْنَاهَا وَلَكِنَّهَا عَظِيمَةٌ فِي مَعْنَاهَا.

وهاهو زين العابدين علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُوصِي ابنه محمداً قال: «لَا  
تَصْحَبَنَّ حَمْسَةً، وَلَا تُحَادِثْهُمْ، وَلَا تُرَافِقْهُمْ فِي طَرِيقٍ، قَالَ مُحَمَّدٌ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا  
أَبَهْ، مَنْ هُوَ لِأَيِّ الحَمْسَةِ؟ قَالَ: لَا تَصْحَبَنَّ فَاسِقًا، فَإِنَّهُ بَائِعُكَ بِأَكْلَةٍ فَمَا دُونَهَا، قَالَ:  
قُلْتُ: يَا أَبَهْ، وَمَا دُونَهَا؟ قَالَ: يَطْمَعُ فِيهَا، ثُمَّ لَا يَنَالُهَا. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَهْ، وَمَنْ  
الثَّانِي؟ قَالَ: لَا تَصْحَبَنَّ الْبَخِيلَ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ بِكَ فِي مَالِهِ أَحْوَجَ مَا كُنْتَ إِلَيْهِ، قَالَ:  
قُلْتُ: يَا أَبَهْ، وَمَنْ الثَّلَاثُ؟ قَالَ: لَا تَصْحَبَنَّ كَذَّابًا، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ يُعْجِدُ مِنْكَ  
الْقَرِيبَ، وَيُقَرِّبُ مِنْكَ الْبَعِيدَ. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَهْ، وَمَنْ الرَّابِعُ؟ قَالَ: لَا تَصْحَبَنَّ أَحْمَقًا،  
فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيُضِرُّكَ. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَهْ، وَمَنْ الحَامِسُ؟ قَالَ: لَا تَصْحَبَنَّ قَاطِعَ

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٠).

(٢) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق رقم (٧٣١).



رَحِمَ، فَإِنِّي وَجَدْتُهُ مَلْعُونًا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ»<sup>(١)</sup>.  
فلولا أن الوصية مهمة في حياة هؤلاء العُظماء ما قدّموها لأحبّابهم  
وأولادهم.

وهذا أكثر من صيني يقول لابنه في وصيته: «لا يَحْمِلَنَّكُمْ جَمَالُ النِّسَاءِ عَنْ  
صَرَاحَةِ النِّسَبِ، فَإِنَّ المَنَاكِحَ الكَرِيمَةَ مَدْرَجَةٌ لِلسَّرَفِ» أي: لا تَغْتَرُّوا بِامْرَأَةٍ  
حَسَنَاءَ وَتَتَجَاهَلُوا الشَّرْفَ وَالنِّسَبَ.

وقال عدي بن الحيار لابنه في وصيته العظيمة: «أَيُّ بَنِي أَدْرُكُكَ اللَّهُ أَنْ لَا  
تَعْمَلَ بَعْدِي عَمَلًا يُمَعِّرُ وَجْهِي، فَإِنَّ عَمَلَ الأَبْنَاءِ يُعْرَضُ عَلَى الآبَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

وأختم بما كتبه ابن عبد البر في كتابه «التمهيد» عن مالك الإمام المجل  
صاحب «الموطأ» قال رَحِمَهُ اللَّهُ عن نفسه لما كان صبيًا: «كَانَتْ أُمِّي تُلْبِسُنِي الثِّيَابَ،  
وَتَضَعُ عَلَيَّ رَأْسِي العِمَامَةَ وَأَنَا صَغِيرٌ فِي السِّنِّ، وَتُوَجِّهُنِي إِلَى مَجْلِسِ رَبِيعَةَ بِنِ أَبِي  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ شَيْخِ مَالِكٍ، وَتُوصِينِي عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ قَائِلَةً: أَيُّ بَنِي آتَتْ رَبِيعَةَ  
وَتَعَلَّمَتْ مِنْ سَمْتِهِ وَأَدَبِهِ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمَ مِنْ حَدِيثِهِ وَفَهْمِهِ»<sup>(٣)</sup>.

إنها الوصايا؛ لذا أوصي الأب ألا يحتقر كلمة يسديها لابنه أو لابنته، ولعله  
لا يرى أثرها اليوم، لكنه قد يرى أثرها مُستقبلاً.



(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ١٨٣ - ١٨٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/ ٥٤) - ٢٩٢ -  
(٢٩٣).

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة (٤/ ٣٩٠)، وعزاه لابن شاهين في كتاب الجنائز.

(٣) التمهيد (٣/ ٤).

K

K

(٥)

## المنهج النبوي في تربية شباب الصحابة على الإيمان

•• k ••

الشباب عماد الحضارات، وهو سر نهضتها، والشباب في هذه المرحلة يمرُّون بأعظم مراحل العمر؛ مرحلة الهمم المتوقدة، ومرحلة الطاقات المتحمسة، ومرحلة البذل والعطاء، ومرحلة التضحية والفداء.

ومرحلة الشباب هي من أعظم مراحل العمر، إن تم استغلالها فيما ينفع كان الربح والنجاة، وإن تسلطت عليها أفكار المجرمين قادت إلى الجحيم، وقادت المجتمع معها إلى ذلك، وإنك حينما ترى هؤلاء الشباب في أي مجتمع تجد أن سهام الأعداء عليهم يتقصدونهم، والمناهج تحوِّطهم من كل جانب، ولا يصلح مع هؤلاء الشباب إلا منهج واحد رباني هو الذي جاء به نبينا محمد ﷺ.

وتتعدد المناهج التربوية، ويبقى المنهج الذي أتى به نبينا ﷺ هو المنهج الأنجح والأنجع لهؤلاء الشباب في هذه المرحلة المهمة؛ لأنك إذا نظرت في منهج النبي ﷺ وفي هذه التربية التي غرسها في نفوس شباب الصحابة وجدت هذا التميز، بحيث أصبح هذا الجيل -جيل الشباب في زمن النبي ﷺ- هو خير القرون، والجيل الذي بعده هو خير القرون، والجيل الذي بعده هو خير القرون، وما ذاك إلا لتلك التربية التي قامت على ذلك المنهج، قال الله تعالى في سورة

الكهف: ﴿ تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣]، فلا يَنفَعُ مع هؤلاء الفتية إلا الإيمان الصادق النظيف المطهر من كل شائبة من شوائب الأفكار المنحرفة.

ونظرة في منهج النبي ﷺ وكيف ربى شباب الصحابة على هذا الإيمان، ونصيحتي للمراكز الدينية وغيرها التي تربي شباب الأمة: إذا لم تكن هذه التربية قائمة على غرس الإيمان وبناء جدار التوحيد في نفوسهم فإنها تربية لا تنفع.

لذا إذا نظرت في منهج النبي ﷺ وكيف ربى شباب الصحابة على الإيمان تجد هذه المواصفات:

أولاً: أنه كان ﷺ يعتني بغرس الإيمان في نفوس شباب الصحابة من الصغر؛ لأن العبد إذا تعلم في صغره انتفع. قال علقمة رضي الله عنه: «ما حفظت وأنا شاب فكأنني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة»<sup>(١)</sup>.

كما قال الأول:

أَرَانِي أَنَسَى مَا تَعَلَّمْتُ فِي الْكِبَرِ      وَلَسْتُ بِنَاسٍ مَا تَعَلَّمْتُ فِي الصَّغَرِ  
وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا بِالتَّعَلُّمِ فِي الصَّبَا      وَمَا الْحِلْمُ إِلَّا بِالتَّحَلُّمِ فِي الْكِبَرِ  
وَلَوْ فُلِقَ الْقَلْبُ الْمُعَلَّمُ فِي الصَّبَا      لَأُلْفِيَ فِيهِ الْعِلْمُ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦/ ٨٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٠٠).

## وَمَا الْعِلْمُ بَعْدَ الشَّيْبِ إِلَّا تَعَسُّفٌ إِذَا كَلَّ قَلْبُ الْمَرْءِ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ<sup>(١)</sup>

وقال جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديثُ عند ابنِ ماجه في سننه، قال: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزَاوِرَةَ» حزاورة جمع حزور، وهو الغلام إذا اشتدَّ وقوي وحزم في أولِ مراحلِ الفتوة «فَتَعَلَّمْنَا الْإِيْمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»<sup>(٢)</sup>، أي: تعلَّمنا التوحيدَ وأسسَ العقيدة ونحنُ صغارٌ.

والمعلمُ في ذلكِ الوقتِ هو رسولُ الله ﷺ، كان يعتني بتعليمهم الإيْمان؛ لذا رسالتي لكلِّ قائمٍ على مركزِ تربويٍّ، ولكلِّ مُربٍّ، ورسالتي للآباءِ أيضًا: اغرسْ في نفوسِ أبنائك معاني الإيْمانِ والتوحيدِ الآنَ وسترتاحُ معه في الغدِ.

وقد جاءَ في سننِ أبي داود: قال الحسنُ بنُ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو يخبرنا أن النبيَّ ﷺ كان يعلمُه: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوَتْرِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَفِي شَرِّ مَا قَضَيْتَ؛ إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَدُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»<sup>(٣)</sup>.

هذه عشرُ كلماتٍ يعلمُها الحسنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والسببُ أن هذا الغرسَ هو الذي

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر (١/٣٦٣-٣٦٤)، ونسبها لأبي عبد الله نفظويه.

(٢) أخرجه ابن ماجه: مقدمة السنن، باب في الإيْمان، رقم (٦١).

(٣) أخرجه أحمد (١/١٩٩)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، رقم (١٤٢٥)،

والترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في القنوت في الوتر، رقم (٤٦٤)، والنسائي: كتاب قيام

الليل وتطوع النهار، باب الدعاء في الوتر، رقم (١٧٤٥).

ينفع. والحسن بن عليّ وُلِدَ في العامِ الثالثِ من الهجرة<sup>(١)</sup>، تُوفِّي النبي ﷺ عنه وعمره سبع سنواتٍ، إذا كان يقولُ له هذه الكلماتِ والحسنُ دونَ السبعِ. وأخذ النبي ﷺ ابنَ عابسٍ الجُهنيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - والحديثُ عندَ النسائيِّ - فقال: «يا ابنَ عابسٍ، أَلَا أدُلُّكَ، أَوْ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا يَتَعَوَّذُ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]»<sup>(٢)</sup>.

إذا: الصفةُ الأولى في هذا المنهج النبويّ في تربية جيلِ شبابِ الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: العنايةُ بهم حينَ الصَّغرِ، في هذه المرحلةِ المهمةِ.

ثانياً: كانَ ﷺ يُرَبِّيهم بوضوحٍ وشفافيةٍ، يُرَبِّيهم بكلماتٍ واضحةٍ، ويغرسُ فيهم غرسَ الإيمانِ بوضوحٍ، فكانَ يضربُ لهم المثلَ ﷺ، والعربُ تقولُ: «الأمثالُ مصابيحُ الأقوالِ» فإذا أُرِدَتْ أن يكونَ لقولِكَ بهاءٌ ونورٌ فدُلِّلْ عليه ببعضِ الأمثالِ.

وقد قالَ أبو موسى الأشعريُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قالَ النبيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ كَمَثَلِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»<sup>(٣)</sup>.

وابنُ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الَّذِي هاجرَ إلى المدينةِ وعمره إحدى عشرة سنةً، وحينما ماتَ النبيُّ ﷺ كانَ عمره قريباً من العشرين<sup>(٤)</sup>، كانَ يُرَبِّيهِ النبيُّ ﷺ فيقولُ له: «يا ابنَ عمرَ، مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ فِي هَذِهِ مَرَّةً وَفِي هَذِهِ

(١) انظر: أسد الغابة (١/٤٨٨)، وسير أعلام النبلاء (٣/٢٤٦)، وتهذيب الكمال (٦/٢٢٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٤١٧)، والنسائي: كتاب الاستعاذة، رقم (٥٤٣٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، رقم (٦٤٠٧).

(٤) انظر: الاستيعاب (٣/٩٥٠)، وأسد الغابة (٣/٢٤١).

مَرَّةً، لَا تَدْرِي أَيَّهَا تَتَّبِعُ»<sup>(١)</sup>، يَبْنِي فِي نَفْسِهِمْ جِدَارَ الْإِيمَانِ بِشَكْلِ وَاضِحٍ.  
 ثَالِثًا: كَانَ ﷺ يَسْتَعْمِدُ مَعَهُمْ وَسِيلَةَ إِضْحَاحٍ مَتَوَفِّرَةٍ فِي زَمَانِهِ، فَقَدْ قَالَ ابْنُ  
 مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْحَدِيثُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ فِي سُنَنِهِ: «خَطَّ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا،  
 وَخَطَّ فِي وَسْطِ الْخَطِّ خَطًّا، وَخَطَّ خَارِجًا مِنَ الْخَطِّ خَطًّا، وَحَوْلَ الْخَطِّ الَّذِي فِي  
 الْوَسْطِ خَطُوطًا، ثُمَّ قَالَ: هَذَا ابْنُ آدَمَ. وَأَشَارَ إِلَى الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ وَقَالَ: هَذَا أَجَلُهُ  
 مُحِيطٌ بِهِ، وَأَشَارَ إِلَى الْخَطِّ الَّذِي فِي الْوَسْطِ وَقَالَ: هَذَا الْإِنْسَانُ. وَأَشَارَ إِلَى الْخَطُوطِ  
 الَّتِي حَوْلَهُ وَقَالَ: هَذِهِ عُرُوضُهُ، إِنَّ نَجَا مِنْ هَذَا يَنْهَشُهُ هَذَا. وَأَشَارَ إِلَى الْخَطِّ الَّذِي  
 هُوَ خَارِجُ الْمُرَبَّعِ وَقَالَ: هَذَا أَمَلُهُ»<sup>(٢)</sup>، أَي: أَمَلُهُ أَطْوَلُ مِنْ عَمْرِهِ.

الشاهد: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُرَبِّي تَرْبِيَةً إِيْمَانِيَّةً بِمَا تيسَّرَ لَهُ مِنْ وَسَائِلِ الْإِضْحَاحِ.  
 رَابِعًا: كَانَ ﷺ يَسْتَعْمِدُ الْأَوْقَاتِ؛ لِذَا نَصِيحَتِي لِلآبَاءِ: اسْتَعْمِرْ أَوْقَاتَكَ مَعَ  
 أَبْنَائِكَ، فَإِذَا كَانُوا مَعَكَ فِي السَّيَارَةِ، أَوْ عَلَى الطَّعَامِ، أَوْ فِي زِيَارَةِ الْأَقْرَابِ فَاسْتَعْمِرْ  
 هَذَا الْوَقْتَ.

قَالَ مَعَاذُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْحَدِيثُ فِي الْبُخَارِيِّ: كُنْتُ رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي  
 وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مَعَاذُ بَنِ جَبَلٍ. قَالَ: قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ  
 وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:  
 حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، قَالَ: ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ:

(١) أخرجه مسلم: كتاب صفات المنافقين، رقم (٢٧٨٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، رقم (٦٤١٧)، والترمذي: كتاب صفة

القيامة، رقم (٢٤٥٤)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب الأمل والأجل، رقم (٤٢٣١).

«يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وإنني أكرّر هذه الرسالة: مراكز تربوية لا تُضيف للإيمان في نفوس المترين نصيباً فإنها مراكز واهمة، فلتقم هذه المراكز على غرس الإيمان، وبناء جدار التوحيد والعقيدة في نفوس أبنائنا إذا أردنا الفلاح والنجاح.

خامساً: استثمار الحدث، فقد تحدث أحداث، والمربي الذكي هو الذي يستثمر هذه الأحداث، فيغرس غرس الإيمان، وقد جاء في سنن أبي داود من حديث أبي المليح، قال: كان أحدهم رديف النبي ﷺ على حمار، فسار بهم فإذا بالحمار يتعثر، فقال الرديف: تعس الشيطان. فأراد النبي ﷺ أن يربي بهذا الحدث، فقال: «لَا تَقُلْ تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ الشَّيْطَانُ، وَقَالَ: بِقُوَّتِي صَرَغْتُهُ، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»<sup>(٢)</sup>.

هكذا المربي العاقل الذكي، هو الذي يستثمر هذه الأحداث فيغرس غرس الإيمان في نفوس من حوله، فلا بُدَّ من إعادة النظر في تربيتنا لأنفسنا ومن حولنا، وإدخال هذا العنصر المهم، وهو التربية الإيمانية، في نفوس من حولنا إذا أردنا مجتمعاً ناهضاً ناجحاً داعماً لأُمَّته.



(١) أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، رقم (٥٩٦٧)، ومسلم: كتاب

الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم (٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٥٩/٥)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب لا يقال خبث نفسي، رقم (٤٩٨٢).

K

K

(٦)

## الْمَنْهَجُ النَّبَوِيُّ فِي تَرْبِيَةِ الصَّحَابَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ

•• K ••

للنبي ﷺ منهج واضح في تربية الصحابة والأمة من بعد ذلك على العبادة، وحديثنا اليوم يتناول جانباً من هذا المنهج، وقد جعلت عبادة الصيام هي النموذج الذي ندلل عليه في بيان صورة هذا المنهج. ومنهج النبي ﷺ في تربية أصحابه وأمته على العبادة يظهر من خلال هذه الصور الأربع:

**الصورة الأولى:** كان رسول الله ﷺ يُربيهم بالاستفادة من مواسم الخيرات. فمن رام منهجاً صحيحاً يُربي من حوله على العبادة فليأخذ منهج التربية بالاستفادة من مواسم الخيرات، وفي حديث أنس رضي الله عنه عند الطبراني في مُعْجَمِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ**» أي: كونوا دائماً تفعلون الخير، «**وَتَعَرَّضُوا لِنَفْحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ نَفْحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رُوعَاتِكُمْ**»<sup>(١)</sup>.

وقد مارس النبي ﷺ التذكير بمثل هذه النفحات وتشجيع الصحابة على هذه النفحات المباركة، مثالها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه في سنن الترمذي، قال

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٥٠، رقم ٧٢٠)، والبيهقي في الشعب رقم (١٠٨٣).



رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَاللَّهُ عَتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»<sup>(١)</sup>.

إنه ﷺ يُرَبِّيهِمْ في هذه الصورة الأولى على الاستفادة من مواسم الخيرات، ومن نفحات الخير.

الصورة الثانية: التربية باحتساب الأجر.

فقد ربي رسول الله ﷺ أمته على احتساب أجر العبادة، وكان يُذَكِّرُهُمْ بذلك دائماً، ففي عبادة الصوم جاء في صحيح البخاري وتكررت هذه الروايات: الرواية الأولى قال فيها رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»، أي: يحتسب أجر الصيام، وأجر القيام، وأجر إدراك شهر رمضان، فيصومه مثلئذا باحتساب أجره لا مستثقلاً لأيامه؛ «غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٢)</sup>؛ وفي رواية: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٣)</sup>؛ وفي رواية ثالثة: «مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم (٦٨٢)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم (١٦٤٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان، رقم (٣٨)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان، رقم (٧٦٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، رقم (٣٧)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان، رقم (٧٥٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب قيام ليلة القدر من الإيمان، رقم (٣٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان، رقم (١٧٦/٧٦٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَدْ رَبَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الاستفادَةِ مِنْ مواسِمِ الخيراتِ، واحتسابِ الأجرِ في العباداتِ.

الصورةُ الثالثةُ: التريُّةُ بمكانَةِ العبادَةِ ترغيبًا وترهيبًا.

بيَّنَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مكانَةَ هذهِ العباداتِ، فقد جاءَ في حديثِ أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عندَ أَحْمَدَ في مُسْنَدِهِ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنشَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوًا، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهادَةِ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ»، على خِلافِ ما أَرادَ أبو أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ أبو أُمَامَةَ: فَغَزَوْنَا فَسَلِّمْنا وَغَنِّمْنا، ثُمَّ أَنشَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوًا ثانياً، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهادَةِ. قَالَ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ»، قال: فَغَزَوْنَا فَسَلِّمْنا وَغَنِّمْنا، ثُمَّ أَنشَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوًا ثالثاً، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَيْتُكَ تَتَرَى مَرَّتَيْنِ أَسْأَلُكَ أَنْ تَدْعُو اللَّهَ لِي بِالشَّهادَةِ، فَقُلْتَ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ»، يا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهادَةِ. قَالَ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ»، قال: فَغَزَوْنَا ثالثةً فَسَلِّمْنا وَغَنِّمْنا، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرِّني بِعَمَلٍ إِذا أَحَدْتُه نَفَعَنِي اللَّهُ بِهِ، أَوْ قالَ في روايةٍ: مُرِّني بِعَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

فَقَدْ بيَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأُمَّتِهِ مكانَةَ العبادَةِ ترغيبًا وترهيبًا:

\* ترغيبًا؛ حيثُ قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كما جاءَ في صحيحِ البخاريِّ: «مَنْ صَامَ

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٥)، والنسائي: كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب في حديث أبي أُمَامَةَ، في فضل الصائم، رقم (٢٢٢٠-٢٢٢٣).

يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»<sup>(١)</sup>.

وفي سنن الترمذي قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ حَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>.

فبيان مكانة العبادة أسلوب تربوي ومنهج نبوي، ربى به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ عَلَى أَهْمِيَةِ الْعِبَادَةِ تَرْغِيبًا.

\* وكذلك ترهيبًا، فقد كان يُمارس دور الترهيب من التفریط في العبادة؛ ففي صحيح ابن حبان ذكر أبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُمْ بِرُؤْيَا رَأَاهَا، وَرُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ حَقًّا، قَالَ: «رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَخَذَا بِضَبْعِي فَصَعِدَا بِي جَبَلًا وَعُغْرًا، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتًا شَدِيدَةً، فَقُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: هَذَا عَوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي فَمَرَزْتُ بِي فَرَأَيْتُ مَشْهَدًا، قَالَ: فَرَأَيْتُ أَقْوَامًا مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيهِمْ مُشَقَّقَةً أَشْدَاقَهُمْ تَسِيلُ أَشْدَاقَهُمْ دَمًا، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحَلَّةِ صَوْمِهِمْ»<sup>(٣)</sup>، أي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَلَا يُكْمِلُونَ الصَّوْمَ، يُفْطِرُونَ قَبْلَ الْمَغْرَبِ. فكيف بالذي أعدَّ العدة أنه لن يصوم؟! وكيف

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم (٢٨٤٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، رقم (١١٥٣ / ١٦٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الصوم في سبيل الله، رقم (١٦٢٤).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه رقم (١٩٨٦)، وابن حبان في صحيحه رقم (٧٤٩١)، والحاكم في المستدرک (٢ / ٢٠٩).

بالَّذي يَأْتِي رَمَضَانُ وَفِي نِيَّتِهِ أَنْ لَنْ يَصُومَ؟! وَكَيْفَ بِالَّذِي أَعَدَّ الْعِدَّةَ أَيْنَ سَيَتَغَدَّى  
فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مَعَ بَاقِي زُمَلَاتِهِ؟!

الصورة الرابعة: تصحيح مفهوم إتيان العبادَة.

فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي شَأْنِ عِبَادَةِ الصَّوْمِ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ،  
فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»<sup>(١)</sup>، يُرِيْبُهُمْ ﷺ عَلَى الْمَفْهُومِ الصَّحِيحِ  
عِبَادَةِ الصِّيَامِ أَنَّهُ لَيْسَ إِسْكَافًا عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللَّذَاتِ، بَلْ هُوَ تَحْكُّمٌ فِي  
هَذَا اللِّسَانِ وَذَلِكَ الْفَرْجِ.

وَفِي رِوَايَةِ سُنَنِ الدَّارِمِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ  
صِيَامِهِ إِلَّا الظَّمْأُ! وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهْرُ!»<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ سَارَ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ سَلْفُ الْأُمَّةِ؛ فَهَذَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ  
يَقُولُ، كَمَا جَاءَ فِي كِتَابِ «الزُّهْدِ الْكَبِيرِ» لِلْبَيْهَقِيِّ: «لَيْسَ تَقْوَى اللَّهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ،  
وَلَا بِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَرُكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَأَدَاءُ مَا  
أَفْتَرَضَ اللَّهُ، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ»<sup>(٣)</sup>.

وَتَأْمَلُ هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي صَحَّحَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ الْمَفْهُومَ نَحْوَ هَذِهِ الْعِبَادَةِ،  
فَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» لِلْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالُوا:

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، رقم (١٩٠٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٤٤١/٢)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم، رقم (١٦٩٠)، والدارمي رقم (٢٧٦٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الزهد الكبير للبيهقي رقم (٩٦٤).

يا رسول الله، فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، وتفعل، وتصدق، وتؤدي جيرانها بلسانها، قال: «**لا خير فيها، هي من أهل النار**»<sup>(١)</sup>.

فانظر: صيامٌ وقيامٌ وفعلٌ للخيراتِ وصدقاتٌ وتؤدي جيرانها بلسانها، لا خير فيها، وهي من أهل النار؛ لأنها لم تفهم الصيام على حقيقته.

لذا فلنحذر أن نُؤذي أحداً بألسنتنا، لا أقول: جيراننا. وكم من أسرة تعاني ممن يؤذيها بلسانها في بيتهم! قد يكون رجلٌ يؤذي زوجته وأولاده بلسانها، إذا كانت هذه التي تؤدي جيرانها هي من أهل النار، فكيف بالذي يؤذي زوجته، أو تؤدي زوجها بلسانها، أو يؤذي أولاده؟!

قد نجد من يصوم الشهر كله، ويقوم الليل كله، ويرجع ليتهدج العشر الأواخر، وله عمرة في رمضان، لكنه مؤذٍ لأبنائه وزوجته، لا أقول: بيده، وإنما مؤذٍ لهم بلسانها، فالحديث يقول: لا خير فيه، هو من أهل النار.

فصورة المنهج النبوي في تربية الصحابة على العبادة: الاستفادة من مواسم الخيرات، والتربية باحتساب الأجر والثواب، ثم يبين لهم النبي ﷺ تصحيح المفاهيم.

ولنا هذا المثال، وهو حديث طلحة رضي الله عنه عند أحمد في مسنده، قال طلحة رضي الله عنه: «أتى رجلان من بلي»، أرض من أرض اليمن، «فكان إسلامهما جميعاً» في نفس الوقت، «وكان أحدهما أكثر اجتهاداً من الآخر»، له صيامٌ وقيامٌ وأفعالٌ صالحةٌ، «ثم غزا المجتهد فاستشهد في هذه الغزوة، ومكث الآخر الذي هو أقلُّ

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٠)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (١١٩).

اجتهادًا بعده سنة، قال طلحة: رأيتُ في المنام أنني أقفُ بباب الجنة، فإذا بخارج من الجنة يخرج ويأذن للذي مات آخرًا الذي هو أقلُّ اجتهادًا، ولم يمُت في غزوة، فيأذن له بدخول الجنة، ثم يخرج مرة ثانية فيأذن للذي مات أولًا وقد اجتهد في العبادة ومات شهيدًا، قال طلحة: ففرغت من النوم، مُستغربًا كيف هذا يدخل قبل هذا! فهذا مات شهيدًا وعلى عبادة وطاعة، قُمتُ مستغربًا من ذلك «أتحدّث، فتحدّث الناس بحديثي، فبلغ حديثنا رسول الله ﷺ»، فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ أَيْ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟ أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟»**، قالوا: بلى. قال: **«وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَهُ؟»** قالوا: بلى. قال: **«فَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟»**، قالوا: بلى. قال: **«فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»** <sup>(١)</sup>.

ليس فقط يدخل قبله الجنة، بل هما في الجنة هذا الذي مات بعده بسنة ما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض؛ لأنك حينما يتفضل عليك المولى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فيبلغك شهر الصيام، فإنها منحة عظيمة ومنة كريمة منه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.  
وكم من الناس يموت بشعبان، بل يموت ليلة رمضان ولا يدرك شهر الصيام، فإذا أدرك العبد منّا شهر رمضان فليتنحّر الواجب فيه، إنّه منهج النبي ﷺ في التريية على العبادة.



(١) أخرجه أحمد (١/١٦٣)، وابن ماجه: كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا، رقم (٣٩٢٥).



(٧)

## تأملات في شهر الصيام

•• k ••

هاهنا مشاهدٌ وتأمُّلاتٌ في شهرِ رَمَضانَ، شهرِ الخيرِ والبركاتِ، مَشاهدٌ  
وتأمُّلاتٌ نَقَرُوهَا في أحاديثِ رَسولِ اللهِ ﷺ المتعلقةِ بشهرِ رَمَضانَ:  
المشهدُ الأوَّلُ فيها: ليسَ العبرةُ بإدراكِ شهرِ الصيامِ، وإنَّما العبرةُ بتحقيقِ  
المغفرةِ، وتحصيلِ المغفرةِ، وقد تقدَّم حديثُ ذاكِ الرجلِ الَّذي دخلَ قَبْلَ صاحِبِهِ  
الجنةَ وكانَ أقلَّ مِنْهُ اجتهادًا وطاعةً، وماتَ على فراشه خلافَ صاحِبِهِ، قالَ النبيُّ  
ﷺ: «أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً، وَأَدْرَكَ رَمَضانَ»، ثُمَّ ذَكَرَ تحصيلَ المغفرةِ،  
فقالَ: «فَصَامَهُ وَصَلَّى كَذًا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ»<sup>(١)</sup>.

فكثيرٌ هُمُ الَّذِينَ أدركوا شهرَ رَمَضانَ، لَكِنْ قَلِيلٌ مَنْ يُحْصِلُ المغفرةَ،  
ويتعرَّضُ لأسبابِها، وَيَسْعَى لتحصيلِ أسبابِها. وصعدَ النبيُّ ﷺ درجاتِ منبرِهِ  
الثلاثَ فقالَ عندَ كُلِّ درجةٍ: آمينَ، آمينَ، آمينَ، والصحابَةُ يَسْمَعُونَ، فإذا بهم  
يَقولونَ: يا رسولَ اللهِ، قُلْتَ: آمينَ. وأنتَ تَصْعَدُ درجاتِ المنبرِ. قالَ: «أَتَانِي  
جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمينَ.  
فَقُلْتُ: آمينَ. قالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، فَلَمْ يَبْرَهُمَا فَهَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ،

(١) أخرجه أحمد (١/١٦٣)، وابن ماجه: كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا، رقم (٣٩٢٥).

فَأَبَعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ. فَقُلْتُ: آمِينَ. قَالَ: وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ ﷺ فَهَاتِ فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبَعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ. فَقُلْتُ: آمِينَ». هذه رواية ابن حبان<sup>(١)</sup>.  
وفي رواية عنده أيضا قال فيها: قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو على هذا الشقي الذي جاءه شهر الخيرات، وشهر المغفرة، فلم يستفد منه، ولم يُغفر ذنبه في شهر رمضان.  
فالعبرة ليس أنك أدركت شهر رمضان، إنما العبرة أن تسعى في تحصيل مغفرة الذنوب.

المشهد الثاني: فُرِصُ العَتَقِ مِنَ النيرانِ تَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَأَيْنَ مَنْ يَسْتَمِرُّهَا؟!!

قال النبي ﷺ - كما جاء في سنن الترمذي -: «وَاللَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ عُتَقَاءَ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ»<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٦٤٦)، وابن خزيمة في صحيحه رقم (١٨٨٨)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٥٩٢٢)، وابن حبان في صحيحه رقم (٩٠٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٥٤)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ»، رقم (٣٥٤٥)، وابن حبان في صحيحه رقم (٩٠٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
(٣) أخرجه الترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم (٦٨٢)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم (١٦٤٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
(٤) أخرجه أحمد (٢/٢٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



فأين من يستثمر هذه العطية؟! إنها فرص من استثمارها عُتق من نار جهنم.  
المشهد الثالث: أجر الصيام وثوابه بيد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فلا يَلْتَفِتْ قلبك إلى غير الله، فاجعل صومك لله، واحتسب الأجر من الله،  
ولا يَلْتَفِتْ قلبك إلى تحصيل أجر عند غير الله، فالنبي ﷺ يقول: **«قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»**<sup>(١)</sup>.

فجزاء الصائمين ليس له عددٌ، وليس له حسابٌ، نعم قد تكرر في كثير من العبادات: الحسنَةُ بِمِثْلِهَا، أو بعشر أمثالها، أو بسبع مئة ضعفٍ، أو تُضاعفُ أضعافًا كثيرةً، إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّ اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** قد أضافه إلى نفسه إضافة تشریفٍ، فقال في هذا الحديث القدسي: **«كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»**، يجزي به بغير عدٍّ، وبغير حسابٍ، فلا يَلْتَفِتْ قلبك إلى غير الله؛ فالأجر ليس هنا ولا هنا، بل الأجر بيد الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

المشهد الرابع: أفراح المؤمنين في طاعته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

المؤمن يفرح بالطاعة، لا يصطنعها، ولا يُمثَلُ الفرح، ولا يحتاج لمن يُجبره على الفرح، إنما يفرح هكذا تلقائيًا عند الطاعة والعبادة، فتجدُه فرحًا مسرورًا.  
وانظُرْ إلى أحوال الناس في رمضان كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم، تجدُهم يفرحون من أول ليلة يُعلن فيها عن رمضان وهم يعلمون أن الصيام مشقةٌ وحرمانٌ، لكنهم يفرحون لأنها طاعةٌ، يتقربون فيها وبها إلى الله.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم (١٩٠٤)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم (١١٥١)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

وقال النبي ﷺ - والحديث في صحيح مسلم -: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى أيضاً عند مسلم قال رسول الله ﷺ: «وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يُفْرِحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»<sup>(٢)</sup>.

إنه فرح بالعبادة، يفرح بأن الله وقَّه لأداء العبادة، ويفرح بأن الله أعانه على أداء العبادة، ويفرح بسبب العبادة إذا انتهى فيأكل ويشرب، ويفرح هناك إذا وقف بين يدي الله فوجد صيامه وقيامه ودعاءه وصلاته.

وحيثما تخرج نتائج الدراسة تجد بعض أبنائنا فرحين بانتقالهم من مرحلة إلى أخرى، فالنجاح له فرحة، والفوز له فرحة، لكن أقرانهم بالمدرسة يعيش حالة حزنٍ وندم، ويقول: يا ليتني قدّمت وقدّمت، وبعض الأبناء وجد فرصة للإعادة، لكن هناك من ليس له فرصة للإعادة، فإذا لم ينجح يرسب، فلا مجال للإعادة.

فانظر إلى فرحك أيها العبد المؤمن وأنت ترى أبناءك وهم ينجحون، سيستمر هذا الفرح إذا رأيتهم يجتمعون بك في أعلى جنان الخلد.

المشهد الخامس: أسوار الصيام.

فقد جعل الله تبارك وتعالى الصيام جنةً يستجِنُ بها العبد من النار، وجعله

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿رِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾، رقم (٧٤٩٢)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم (١١٥١/١٦٤)، من حديث أبي هريرة رَوَاهُ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم (١٩٠٤)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم (١١٥١/١٦٣)، من حديث أبي هريرة رَوَاهُ اللَّهُ عَنْهُ.

حصناً وسوراً يقي من النار، وقد ذكرنا فيما مضى حديث الرسول ﷺ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»<sup>(١)</sup>.

وذكرنا أيضاً قول النبي ﷺ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ حَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>.

فإذا صام العبد جعل نفسه في حصن من النار، لكنني أوصيك ألا تحرق هذا الحصن، ولا تقم عليه بمعول الآثام فتهدمه؛ فإن النبي ﷺ قال: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَزُفُّ وَلَا يَجْهَلُ وَلَا يَسْخَطُ»<sup>(٣)</sup>.

فهذه معاوّل هدم تأتي بها على سور الصيام فتهدمه؛ لذا قال النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ وَالْجَهْلِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»<sup>(٤)</sup>. وجاء عند الطبراني - في رواية قال عنها الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: إِمَّا ضَعِيفَةٌ -: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَحْرِقْهُ. قِيلَ: مَا يَحْرِقُهُ؟ قَالَ: بِكَذِبَةٍ أَوْ غِيْبَةٍ»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم (٢٨٤٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، رقم (١١٥٣ / ١٦٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الصوم في سبيل الله، رقم (١٦٢٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب فضل الصوم، رقم (١٨٩٤)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم (١١٥١ / ١٦٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، رقم (٦٠٥٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم (٤٥٣٦، ٧٨١٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٤٤٠): ضعيف جدا.

فهذا الذي يكذب، وهذا الذي يَغْتَابُ، وهذا الذي يسرق، وهذا الذي ينظرُ إلى الحرام كلهم يَحْرِقُونَ صِيَامَهُمْ.

قال جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصْرُكَ وَلِسَانُكَ عَنِ الْكُذْبِ وَالْحَرَامِ، وَدَعْ أَدَى الْخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صَوْمِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ صَوْمِكَ وَفِطْرِكَ سِوَاءً»<sup>(١)</sup>.

المشهدُ السادسُ: مشهدٌ في غايةِ الروعةِ أخبرَ بهِ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد جاءَ في سننِ الترمذيِّ من حديثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»<sup>(٢)</sup>.

فإذا سَعَيْتَ فِي صَدَقَتِكَ فِي رَمَضَانَ وَفَطَّرْتَ صَائِمًا كَانَ لَكَ مِثْلُ أَجْرِهِ -أي: مثلُ أجرِ صومه- فلو فَطَّرْتَهُ شَهْرًا كَامِلًا كَأَنَّكَ تَصُومُ مَعَ شَهْرِكَ شَهْرًا، فَإِنْ فَطَّرْتَ اثْنَيْنِ كَانَ مَعَ صَوْمِكَ شَهْرَانِ، وَإِنِّي أَعْرِفُ بَعْضَ الْأَفْضَلِ مِمَّنْ وَفَّقَهُ اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** لِهَذِهِ الْعِبَادَةِ يُفَطِّرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفَ صَائِمٍ، فَيَأْتِي النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَصُومُونَ بِشَهْرٍ وَهُوَ يَصُومُ بِأَلْفِ شَهْرٍ وَشَهْرٍ؛ لِأَنَّهُ عَقَلَ هَذَا الْمَشْهَدَ وَتَأَمَّلَهُ، «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ». أَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المشهدُ السابعُ: في رَمَضَانَ تَتَكَسَّرُ بَعْضُ الْقِيَمِ وَالْمَفَاهِيمِ وَالتَّصَوُّرَاتِ، فَتَجْدُ مِنَ الْعِبَادِ مَنْ تَضَيِّعُ عِنْدَهُ بَوْصَلَةَ فَهْمِ الْأَوْلِيَاةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي مُحَافِظَةِ النَّاسِ عَلَى

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/ ٤٦١)، رقم (١٣٠٨)، وابن أبي شيبة في المصنف رقم (٨٩٧٣)، والبيهقي في الشعب رقم (٣٣٧٤).

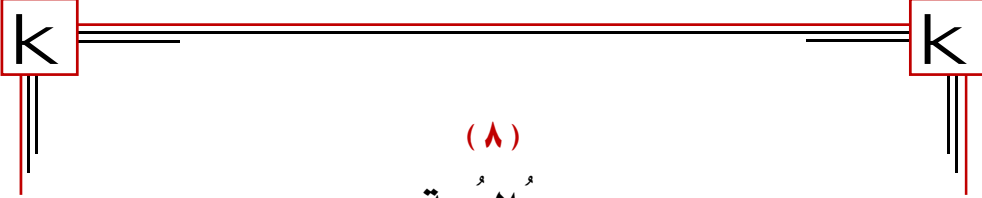
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١١٤)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائماً، رقم (٨٠٧)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائماً، رقم (١٧٤٦).

الإمساكِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي مُقَابِلِ إِطْلَاقِ اللِّسَانِ بِالغَيْبَةِ وَالْكَذِبِ وَالْحَرَامِ. فهو يُحَافِظُ عَلَى صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ - وهذا أمرٌ محمودٌ مأجورٌ صاحبه - لكنَّه يُفَرِّطُ فِي الْفَرَائِضِ، لَا تَفَوُّتَهُ صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ أَبَدًا، وَيَسْتَعِدُّ لَهَا اسْتِعْدَادًا كَامِلًا، وَيَأْخُذُ عَائِلَتَهُ وَأَوْلَادَهُ لَصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ - وهذا أمرٌ محمودٌ - لكنَّ المسجدَ بجوارِ بيته فلا يُصَلِّي الفجرَ في جماعةٍ، ويناومُ عَن صَلَاةِ العَصْرِ، ورُبمَا نَامَ عَن صَلَاةِ المَغْرِبِ. ففقهُ الأولوياتِ عِنْدَ هَذَا الْإِنْسَانِ قَدْ اخْتَلَطَ؛ وَيُقَالُ لَهُ: صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ نَافِلَةٌ، وَالْفَرَضُ وَاجِبٌ.

وقد يَأْتِي بَعْضُ الصَّائِمِينَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَنَامُ عَن صَلَاةِ العَصْرِ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتَهَا، فَيَقَعُ فِي الْإِثْمِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۗ﴾ **﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴿[الماعون: ٤-٥]. ﴿سَاهُونَ﴾ أَي: أَخْرَجُوا الصَّلَاةَ عَن وَقْتِهَا، فَيُصَلِّي العَصْرَ فِي وَقْتِ المَغْرِبِ، وَيُصَلِّي الظُّهْرَ فِي وَقْتِ العَصْرِ، وَلَا يُصَلِّي الفجرَ إِلَى السَّاعَةِ العَاشِرَةِ أَوْ السَّاعَةِ الحَادِيَةِ عَشْرَةَ، لِكِنَّهُ يُحَافِظُ عَلَى صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، وَيُحَافِظُ عَلَى بَعْضِ السُّنَنِ، وَرُبمَا جَادَلَ فِيهَا، لِكِنَّهُ عِنْدَ الْفَرَائِضِ قَدْ اخْتَلَّ عِنْدَهُ المِيزَانُ. فحريٌّ بِنَا أَنْ نَفْقَهَ جَيِّدًا فَفَقَهُ الْأَوْلِيَاةِ، وَرَمَضَانَ يُعَلِّمُنَا ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عِثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قَالَ: «مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، رقم (٦٥٦).



(٨)

يَوْمُ الْجُمُعَةِ

•• k ••

مَيَّرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِمَزَايَا، وَخَصَّهُ بِخَصَائِصٍ، فَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَجَعَلَهُ مُمْتِزًا عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَإِنَّ الْأَيَّامَ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى هَيْئَتِهَا، وَيَأْتِي يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُتَمِيمًا عَنْهَا<sup>(١)</sup>.

وَسَنَذَكُرُ هَذِهِ الْمَزَايَا الَّتِي مُيِّزُهَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ؛ حَتَّى يُعْظَمَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ هَذَا الْيَوْمَ الْعَظِيمَ:

الميزة الأولى: مَيَّرَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فَجَعَلَهُ عِيدًا لِلْمُسْلِمِينَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - كَمَا جَاءَ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ، وَإِنْ كَانَ طَيِّبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَاكِ»<sup>(٢)</sup>؛ لَذَا تَجِدُ الْمُسْلِمَ مَهْمَا كَانَ بَعِيدًا مِنْ اللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ تَعْظِيمًا وَلَوْ شَيْئًا يَسِيرًا لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ؛ لِأَنَّهُ عِيدُ الْمُسْلِمِينَ.

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه رقم (١٧٣٠)، والحاكم في المستدرک (١/ ٢٧٧)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ الْأَيَّامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى هَيْئَتِهَا، وَيَبْعَثُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ زَهْرَاءَ مَنِيرَةً».

(٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة، رقم (١٠٩٨).

الميزة الثانية: نهى الله عن الصيام فيه؛ لأنه عيدٌ.

فالصيام في يوم الجمعة على وجه الخصوص لا يجوز، قال النبي ﷺ، كما جاء في صحيح البخاري: «لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو بعده»<sup>(١)</sup>.

وجاء أيضاً في صحيح البخاري: دخل النبي ﷺ على جويرية بنت الحارث رضي الله عنها وهي صائمة، فقال: «صمت أمس؟ قالت: لا. قال: تريدن أن تصومي غداً؟ قالت: لا. قال: فأفطري»<sup>(٢)</sup>؛ لأنه يكره صيام هذا اليوم منفرداً، فلا يُحصُّ بصيام أو قيام.

فحتى قيام هذه الليلة لا يُميز عن بقية الليالي، فلا يُحصُّ بقيام، فإن النبي ﷺ قال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: «لا تحضوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تحضوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومونه أحدكم»<sup>(٣)</sup>.

الميزة الثالثة: أن الله سبحانه وتعالى جعل صلاة الفجر في يوم الجمعة أفضل الصلوات.

قال رسول الله ﷺ: «إن أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، رقم (١٩٨٥)، ومسلم: كتاب الصيام، باب كراهة صيام يوم الجمعة منفرداً، رقم (١١٤٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، رقم (١٩٨٦).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الصيام، باب كراهة صيام يوم الجمعة منفرداً، رقم (١١٤٤ / ١٤٨).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧ / ٢٠٧)، والبيهقي في الشعب رقم (٢٧٨٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وانظُرْ إلى حالِ كثيرٍ من الناسِ - كما ذكَّرتُ فيما مضى - حينما غابَ عنهم فقهُ الأولوياتِ، ففضَّلوا صلاةَ نافلةٍ على صلاةِ فريضةٍ هيَ عندَ اللهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أفضلُ الصلواتِ.

كَمْ يحرصُ الناسُ على أن يُصلُّوا صلاةَ التراويحِ كاملةً خلفَ القارئِ الفلائيِّ، ولكنَّهم لا يكونون بهذا الحرصِ على صلاةِ الفجرِ في جماعةٍ، وإن كان كِلا الأمرينِ فاضلاً عندَ اللهِ إلا أن النبيَّ ﷺ خصَّ هذه الصلاةَ بالأفضليةِ، فقال: **«إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ اللهِ صَلَاةُ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي جَمَاعَةٍ»**.

الميزةُ الرابعةُ: أن قراءةَ سورةِ الكهفِ فيه لها ميزةٌ.

قال أبو سعيدٍ الخُدريُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قرَأَ سُورَةَ الكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ البَيْتِ العَتِيقِ»** (١).  
وفي روايةٍ قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قرَأَ سُورَةَ الكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»** (٢).

والعبدُ منَّا في حاجةٍ إلى هذا النورِ في الدُّنيا وفي الآخرةِ؛ فقد مرَّ فيما مضى أنَّ العبدَ أحوجُّ ما يكونُ إلى هذا النورِ حينما يمرُّ على الصراطِ؛ فإنَّ النجاةَ تكونُ بقدرِ ما عندك من النورِ.

وقد تقدَّم قولُ النبيِّ ﷺ أَنَّهُ يُقالُ للناسِ على الصراطِ: **«انجُوا عَلَى قَدْرِ**

(١) أخرجه البيهقي في الشعب رقم (٢٧٧٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.  
وأخرجه عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ موقوفاً: سعيد بن منصور في السنن [كتاب التفسير] رقم (١٣٦٨)، والدارمي في السنن رقم (٣٤٥٠)، والبيهقي في الشعب رقم (٢٢٢٠).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٦٨)، والبيهقي (٣/ ٢٤٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



نُورِكُمْ»، بل قَالَ فِي نَفْسِ الْحَدِيثِ فِي مَوْضِعِهِ: «وَيُعْطُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

الميزة الخامسة: أَنَّهُ سَبَبٌ لِتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا وَالْآثَامِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْحَدِيثُ عِنْدَ ابْنِ مَاجَةَ فِي سُنَنِهِ، قَالَ: «الْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا مَا لَمْ تُغَشَّ الْكَبَائِرُ»<sup>(٢)</sup>.

انظُرْ إِلَى هَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الَّذِي خُصَّ بِهِ هَذَا الْيَوْمُ الْعَظِيمُ، فَمَنْ اسْتَفَادَ مِنْ لِحَظَاتِ وَدَقَائِقِ وَسَاعَاتِ هَذَا الْيَوْمِ فَازَ بِهَذِهِ الْعَطِيَّةِ.

الميزة السادسة: قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَالْحَدِيثُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ»<sup>(٣)</sup>.

الميزة السابعة: أَنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ.

جَاءَ فِي مَوْطَأَ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ حَدِيثِ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أَهْبَطَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ تَيْبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٣٥٨ - ٣٥٩، رقم ٩٧٦٣)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٣٧٦)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، رقم (٢٣٣)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب في فضل الجمعة، رقم (١٠٨٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩)، والترمذي: كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن مات يوم الجمعة، رقم (١٠٧٤).

دَابَّةٌ إِلَّا وَهِيَ مُصَيِّخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ؛ شَفَقًا مِنْ السَّاعَةِ؛ إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ! وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ؛ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»<sup>(١)</sup>.

ففى هذا اليوم تقوم الساعة، وقد أدركت الدوابُّ هذا الأمر، فكلُّ دابةٍ تدبُّ على الأرض تُشفقُ من هذا اليوم، قال رسولُ الله ﷺ: «إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ». فالمسلمُ العاقلُ الَّذي يعلمُ أنَّ الساعةَ تقومُ في يومِ الجمعةِ حريٌّ به أن يكونَ في ليلتها طائعًا تائبًا مُنيبًا، مُقبلًا على ربِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ولكنَّ مَنْ نظَرَ إلى حالِ المسلمينَ اليومَ وجدَ بعضَهم إذا كانَ ليلةَ الجمعةِ أقبلَ على ربِّهِ بالمعاصي، والذنوب، والخطايا.

فإذا سألَ سائلٌ وقالَ: ماذا أعملُ في يومِ الجمعةِ؟

قلتُ له: اعملِ الطاعاتِ، وتقرَّبْ إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بجميعِ القرباتِ، واعلمْ أنَّ أعظمَ الأعمالِ، وأعظمَ القرباتِ التي حُوطبَ بها أفرادُ الأمةِ في يومِ الجمعةِ هي كثرةُ الصلاةِ على النبيِّ ﷺ.

فقدَ ذَكَرَ النبيُّ ﷺ - كما جاءَ في مُسندِ أحمدَ - فضلَ يومِ الجمعةِ، ثم قالَ: «فَاكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ - أَيُّ: قَدْ بَلَيْتَ -؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/١٠٨، رقم ١٦)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، رقم

(٨٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَجَلَّ - قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»<sup>(١)</sup>.  
وتدبر قولَه: «فَأَكْثِرُوا» ولم يقل: فصلوا.

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «فَأَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فَإِنَّ اللَّهَ وَكَلَّ بِي مَلَكًا عِنْدَ قَبْرِي، فَإِذَا صَلَّى عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِي: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ فُلَانَ ابْنَ فُلَانَ صَلَّى عَلَيْكَ السَّاعَةَ»<sup>(٢)</sup>.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَزِدْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، إِنَّ الْإِكْتَارَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَظِيمِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ وَأَعْظَمِ الطَّاعَاتِ.



(١) أخرجه أحمد (٨/٤)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم (١٠٤٧)، والنسائي: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ، رقم (١٣٧٤)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب في فضل الجمعة، رقم (١٠٨٥)، من حديث أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
(٢) عزاه السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٦٠)، والمتقي الهندي في كنز العمال رقم (٢١٨١) للديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

K

K

(٩)

## تأملاتٌ في ليلةِ القدرِ

•• k ••

قال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، خلق اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى السمواتِ السبعَ، واختارَ منها السماءَ السابعةَ مستقرًّا للمُقرَّبين من خلقه، وخلق الجنانَ واختارَ منها جنةَ الفردوسِ وجعلها مأوى لخواصِّ الصالحين من عباده، وخلق الملائكةَ واختارَ منهم جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فجعله أمينًا على وحيه، وخلق البشرَ واختارَ منهم الأنبياءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، واختارَ من الأنبياءِ الرسلَ، واختارَ من الرسلِ أولي العزمِ من الرسلِ، واختارَ من الرسلِ نبيَّنا محمدًا ﷺ، وخلق الأماكنَ واختارَ منها البلدَ الحرامَ، ففضَّله على سائرِ الأماكنِ، وخلق الزمانَ واختارَ من أيامه أيامًا فضَّلهَا على سائرِ الأيامِ، واختارَ من لياليه ليلةً فضَّلهَا على سائرِ الليالي وهي ليلةُ القدرِ.

وليلةُ القدرِ أنزل اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيها سورةً كاملةً: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ١-٥].

مجموعةٌ من التأملاتِ والمسائلِ في هذه الليلة:

المسألة الأولى: لماذا سُمِّيت ليلةُ القدرِ بليلةِ القدرِ؟

أجاب علماءنا رَحِمَهُمُ اللهُ على هذا السؤالِ بإجاباتٍ متعددةٍ، مِنْ ذَلِكَ: أُنَّهَا سُمِّيَتْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ؛ لِأَنَّهَا عَظِيمَةُ الْقَدْرِ وَالشَّرْفِ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، نَعَمْ هِيَ لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكِنْ جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ مَا عَظَّمَ بِهِ شَأْنَهَا وَقَدَّرَهَا وَشَرَّفَهَا، وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَخْتَارُ سَاعَتَهَا نَزْوَالًا لِكِتَابِهِ الْكَرِيمِ.

وَسُمِّيَتْ أَيْضًا لَيْلَةَ الْقَدْرِ بِ«لَيْلَةِ الْقَدْرِ» مِنَ الْقَدْرِ وَهُوَ الضِّيْقُ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ تَضِيقُ بِأَعْدَادِ الْمَلَائِكَةِ النَّازِلِينَ إِلَى الْأَرْضِ، كَمَا قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [القدر: ٤]، أَي: تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ يَقُودُهُمْ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَرْضِ، فَتَضِيقُ بِهِمُ الْأَرْضُ؛ لِأَنَّهُمْ يَنْزِلُونَ بِأَعْدَادٍ كَثِيرَةٍ تَفُوقُ أَعْدَادَ حَصَى الْأَرْضِ، يَتَنَزَّلُونَ بِالْخَيْرَاتِ، وَالْبَرَكَاتِ، وَالْأَمْنِ، وَالسَّلَامِ؛ لِذَا هِيَ سَلَامٌ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ ابْنِ خُزَيْمَةَ: «وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلِكُ اللَّيْلَةَ أَكْثَرَ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى»<sup>(١)</sup>.

كَذَلِكَ سُمِّيَتْ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ؛ لِأَنَّ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ تُقَدَّرُ الْمَقَادِيرُ: تُوزَعُ الْأَرْزَاقُ، وَتُكْتَبُ الْأَجَالُ، فَكُلُّ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي السَّنَةِ الَّتِي تَتَلَوُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ يُكْتَبُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الدَّخَانِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣] فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ [الدخان: ٣-٤].

(١) أخرجه أحمد (٥١٩/٢)، والطيالسي في المسند رقم (٢٦٦٨)، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٢١٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال ابن عباس - تُرجمانُ القرآنِ حبرُ هذه الأمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -: يُكْتَبُ مِنْ أُمَّ الْكِتَابِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي السَّنَةِ؛ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْأَرْزَاقِ وَالْأَجَالِ؛ حَتَّى الْحُجَّاجِ! يُحْجُّ فُلَانٌ، وَيُحْجُّ فُلَانٌ<sup>(١)</sup>؛ لَذَا سُمِّيَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

المسألة الثانية: متى تكون ليلة القدر؟

ليلة القدر كائنة في العشر الأواخر من شهر رمضان، إما أن تكون ليلة الحادي والعشرين، أو الليلة التي تليها، أو الليلة التي تليها؛ فهي في العشر الأواخر حتى ليلة الثلاثين، فقد تكون في أول العشر، وقد تكون في آخر العشر الأواخر.

جاء في موطأ الإمام مالك من حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قال النبي **ﷺ**: «تَحْرَوُا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»<sup>(٢)</sup>.

المسألة الثالثة: بماذا ميّز الله ليلة القدر؟

ميّزها الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بمزايا وفضائلها بفضائل عديدة، أعظم هذه المزايا والفضائل: أنه أنزل القرآن في هذه الليلة.

فقد جاء في مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قَالَ النَّبِيُّ

(١) انظر: التفسير البسيط للواحدي (٢٠/٩٥)، وتفسير البغوي (٤/١٧٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٨٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، رقم (٢٠٢٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر، رقم (١١٦٩)، من حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**.

وأخرجه مالك في الموطأ (١/٣١٩)، رقم (١٠)، من حديث عروة بن الزبير، مرسلاً.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُنزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَتِ التَّوْرَةُ لَيْسَتْ مَضِيئًا مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ»<sup>(١)</sup>؛ فكان نزول الفرقان في العشر الأواخر من رمضان في ليلة القدر.

كذلك ميز الله هذه الليلة بميزة عظيمة: أن العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وهذا أمر عظيم، دل على ذلك قول الحق **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾** [القدر: ٣].

فالصلاة في ليلة القدر أفضل من الصلاة في ألف شهر، والإحسان في ليلة القدر أفضل من الإحسان في ألف شهر، والصدقة في ليلة القدر أفضل من الصدقة في ألف شهر، فالمسلم العاقل هو الذي لا يضيع هذه الليلة، بل يعمل الإحسان والصلوات والدعاء والصدقات في العشر كلها، فإذا فعل أصاب ليلة القدر.

ومما يميز ليلة القدر أيضًا: أن من قامها غفر ذنبه، ففي صحيح البخاري قال النبي **عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**<sup>(٢)</sup>.

فإذا قمت العشر الأواخر كلها أصبت ليلة القدر، وليس بالضرورة أن تراها، أو أن تعلم بها، أو أن ترى علامتها، وإنما أنت إذا أحسنت في العشر الأواخر لم يضع إحسانك في ليلة القدر؛ فالعاقل هو الذي يكثر من الإحسان

(١) مسند أحمد (٤/١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب قيام ليلة القدر من الإيمان، رقم (٣٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان، رقم (١٧٦/٧٦٠)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ومن العملِ الصالحِ في العشرِ الأواخرِ؛ فإنَّها صائبةٌ بإذنِ اللهِ ليلةَ القدرِ.  
 المسألةُ الرابعةُ: في ليلةِ القدرِ محرومٌ ومرحومٌ؛ أمَّا المرحومُ: فهو ذاكَ الَّذي  
 أحيَا تلكَ الليلةَ بذكرِ اللهِ والإقبالِ عليه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والاستعدادِ لها، أمَّا المحرومُ:  
 فهو الَّذي مرَّت عليه هذه الليلةُ المباركةُ فلم يَغْتَنِمِهَا.

وجاءَ في سننِ ابنِ ماجهٍ من حديثِ أنسٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، قال: دخلَ رمضانُ، فقالَ  
 رسولُ اللهِ **ﷺ**: **«إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَ كُمْ وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ  
 حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مُحْرَمٌ»**<sup>(١)</sup>.

لذا فالعاقلُ الَّذي يعرفُ كيفَ يستثمرُ أيامه ولياليه هوَ مَنْ يُفْرِغُ نفسه في  
 العشرِ الأواخرِ، فلا تشغِلُ بسوءٍ، ولا بلعبٍ، ولا بلهوٍ، ولا بقيلٍ وقال، بلِ  
 اشتغَلِ في العشرِ الأواخرِ بذكرِ اللهِ، وليسَ بالضرورةِ أن تكونَ في المسجدِ، أو أن  
 تكونَ قارئًا للقرآنِ، أو أن تكونَ داعيًا، وإنَّما اشغَلِ هذا الوقتَ بما يسرُّ اللهُ لك من  
 عبادةٍ، كُن ذاكِرًا أو قارئًا للقرآنِ أو مصليًا أو فاعلاً للصالحاتِ، تصدَّقْ في كلِّ  
 ليلةٍ من ليالي العشرِ حتَّى تصيبَ الصدقةَ في ليلةِ القدرِ.

فلا تشتغَلِ في ليالي رمضانَ إلا بما تفرحُ به حينما تلقى اللهُ، وأجَلْ هذه  
 الأعمالِ إلى نهارِ يومٍ آخرٍ، واجعلِ الليلَ كلَّهُ اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، ليسَ أقلُّ من ذلكَ أن  
 تحبسَ شركَ وسوءَكَ عن الآخرينِ.

وقد جاءَ في سننِ الترمذِيِّ من حديثِ عائشةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا** أنَّها قالتَ للنبيِّ **ﷺ**:

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم (١٦٤٤).



يا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «قُولِي: **اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»<sup>(١)</sup>.

يرشد النبي ﷺ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والإرشادُ للأمة من بعدها أن يكثُرَ الإنسانُ من سؤالِ الله العافية؛ وهو أعظم ما يُسألُ به اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فأكثرُ من هذا الدعاءِ في ليالي العشرِ الأخيرة من رمضان؛ فلعلَّها تكونُ موافقةً ليلَةَ القدرِ، فتُكَافَأُ بالعفوِ والعافية.



(١) أخرجه أحمد (٦ / ١٧١)، والترمذي: كتاب الدعوات، رقم (٣٥١٣)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، رقم (٣٨٥٠).



(١٠)

## استشعار رقابة الرقيب سبحانه وتعالى

•• k ••

تحدثنا فيما مضى عن أهمية العبودية لله، وأن الله سبحانه وتعالى خلقنا وأوجدنا لعبادة واحدة، وهي إفراذه سبحانه وتعالى وحده بالعبادة، وذكرنا قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

والعبادة تشمل جميع ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ونحن الآن بصدد الإشارة إلى عبادة من هذه العبادات التي أمر الله تبارك وتعالى بها، وهي استشعار رقابته سبحانه، وهي عبادة عظيمة، لا بد أن تمتلئ صدورنا بأن الله سبحانه وتعالى يرانا، ورقيب علينا، والله سبحانه وتعالى ذكر ذلك في كتابه؛ ليربِّي فينا هذه العبادة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

فتربَّى هذه النفوس على أن الله سبحانه وتعالى معها، ومطلع عليها، كما قال الحق سبحانه وتعالى في سورة الأنعام: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا

فِي اللَّبْرِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]، إنها عبادة عظيمة.

وإذا أردت أن تغرس في نفسك هذه العبادة فعليك بثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن توقن أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما في نفسك قبل أن تنطق به بلسانك، أي: أن يكون في يقينك أن ما يدور في نفسك، أو في ذهنك، أو ما يتحرك في مكنون صدرك، يعلم به الله سبحانه وتعالى قبل أن يصل إلى طرف لسانك، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فصار للإنسان يقينٌ بذلك.

الأمر الثاني: أن توقن أن الله سبحانه وتعالى يسمع ما تقول، سواء جهرت به أو أسررت به في أذن صاحبك، حتى لو أغلقت أبوابك وتأكدت أن مكبر الصوت لا يعمل، الله يسمعك، قال الحق سبحانه: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، فعليك أن تستشعر رقابة الله سبحانه وتعالى الذي قال: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

الأمر الثالث: أن توقن أن الله يراك؛ يراك وأنت في المسجد، ويراك وأنت خارج المسجد، يراك في مكتبك والباب مغلق، ويراك وأنت على فراشك تحت لحافك، ويراك في جميع أحوالك، حتى لو كنت غائباً عن نظر الديك ومن تضع له اعتباراً فإن الله ينظر إليك، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٣١٨)

وَتَقْلُبُكَ فِي السُّجُودِ ﴿٣١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿[الشعراء: ٢١٨-٢٢٠].

فإذا حصل عندك هذا اليقين في ثلاثة أمورٍ، فاعلم أنك في الطريق الصحيح، وأنت تستشعر هذه العبادة؛ وإذا حصل عندك استشعارٌ لرقابة الرقيب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أثمر ذلك ثلاث ثمراتٍ:

الثمرَةُ الأولى: من استشعر رقابة الله أتقن عمله؛ لأنَّها مرتبة الإحسان، التي قال فيها النبي ﷺ: **«اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»** (١).

فالعامل الذي يعلم أن رئيسه يراه، وهذه الكاميرا تنقل حركته، يُتقن عمله، فكن أنت خيرًا من هذا العامل؛ لأنك تستشعر أن الله مطلع عليك، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يحب المتقن ويحب العمل المتقن، قالت عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** كما جاء عند الطبراني في معجمه الأوسط: **«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقَنَهُ»** (٢)، ولن تُتقنه إلا إذا كنت تستشعر رقابة الله.

وقد جاء في مصنف ابن أبي شيبة، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: **«إِنَّ الرَّجُلَ يُصَلِّي سِتِينَ سَنَةً مَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ، لَعَلَّهُ لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَلَا يُتِمُّ السُّجُودَ، وَيُتِمُّ السُّجُودَ وَلَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ»** (٣).

الثمرَةُ الثانية: إذا استشعرت رقابة الله أخلصت في العمل، فلا يمكن أن تُصليَ لغيره، ولا يمكن أن تتصدقَ لغيره، ولا يمكن أن تُحسنَ لغيره، ولا يمكن

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام، رقم (٩)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه أبو يعلى في المسند رقم (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط رقم (٨٩٧)، والبيهقي في الشعب رقم (٤٩٢٩).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة رقم (٢٩٨٠).

أن تصنع المعروف لغيره؛ لأنك تستحيي أن يراك الله وأنت تصلي لغيره، قال الحقُّ سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢-٣].

الثمره الثالثه: إذا استشعرت رقابه الله تولد عن ذلك خوف من الله، فتخاف أن تعصيه؛ لأنك تعلم أنه يراك فكيف تتجرأ على المعصيه؟! قال الحقُّ سبحانه وتعالى: ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الزمر: ١٣].

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع جمع من أصحابه، فمر به راعي غنم، فقال له عمر ممتحنًا: قف يا راعي الغنم، بع لي شاة من هذه الشياه؟ قال: إنما ليست لي إنما هي لسيدي - وهو لا يعلم عمر - قال: قل لسيدك: أكلها الذئب، واقبض أنت الثمن. قال الراعي: فأين الله؟ فدوت هذه الكلمه في هذه الصحراء. أي: ممكن أن أخدع هذا السيد، وربما لا يسأل عنها لكثرة الغنم، ونحن بعيد عن عينه، لكن نظر الله قريب. فبكى عمر، ثم ذهب إلى سيد هذا الراعي واشترى العبد واشترى الغنم، فأعتق العبد وأهداه الغنم، وقال: كلمه قلتها في الدنيا أعتقتك وأرجو أن تعتقك في الآخرة<sup>(١)</sup>.

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا

تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ

وَلَا تُحَسِبَنَّ اللَّهُ يَغْفُلُ سَاعَةً

وَلَا أَنْ مَا تُخْفِيهِ عَنْهُ يَغِيبُ<sup>(٢)</sup>

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٤/٣٩٨).

(٢) اختلف في قائلها، فنسبها بعضهم إلى أبي نواس، انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/٤٥٥)، وديوان أبي نواس (ص: ٢٠١)، وهما أيضا في ديوان أبي العتاهية (ص: ٣٤)، ونسبها في الحماسة البصرية (٢/٤٧) للحسن بن عمرو، وقال: وتروى لأبي محمد التيمي.

نعم؛ إنَّها عبادةٌ من أعظم العباداتِ حينما تستشعرُ رقابةَ اللهِ وأنتَ في جميعِ أحوالكِ، فالحذرَ الحذرَ أن تُحسنَ العملَ وتُتقنه أمامَ الناسِ، فإذا خلَّوتَ بنفسِكَ أفسدتَ هذا العملَ.

فقد جاءَ في سننِ ابنِ ماجهٍ من حديثِ ثوبانَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَثُورًا»**، قَالَ ثُوبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؟ قَالَ: **«أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»** <sup>(١)</sup>.

أي: أنَّهم أمامَ الناسِ يُمثِّلونَ الصِّلاحَ والتَّقَى، فإذا كانوا بمفردهم ظهرَ فسادُهم، وانتَهكوا حرَمَاتِ اللَّهِ، كما قَالَ الحَقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾** [النساء: ١٠٨].



(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، رقم (٤٢٤٥).

K

K

( ١١ )

## حقُّ الله تعالى على عباده

•• k ••

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ. فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ: أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>.

هذا حديثٌ عظيمٌ، ينقله لنا الصحابيُّ الجليلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَبَاشَرَةً، يُعَلِّمُهُ هَذَا الْحَقَّ الْعَظِيمَ، حَقَّ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ، الْحَقَّ الَّذِي أَلْزَمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ عِبَادَهُ، وَالْحَقَّ الَّذِي أَلْزَمَ بِهِ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَحَقُوقُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ يَجْمَعُهَا كُلُّهَا الْإِيْمَانُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِذَا نَظَرْتَ فِي حَقُوقِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ وَجَدْتَهَا كُلُّهَا تَدَوَّرُ عَلَى الْإِيْمَانِ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَسَوْفَ نَذَكُرُ مَجْمُوعَةً مِنَ الْحَقُوقِ:

### الحقُّ الأولُ: الإِيْمَانُ بِهِ سُبْحَانَهُ.

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، رقم (٢٨٥٦)، ومسلم: كتاب الإِيْمَانِ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم (٣٠).

نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ  
وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿ [النساء: ١٣٦]، ولا يُمكنُ أن يتحقق هذا  
الإيمانُ إلا بأربعة أمورٍ:

الأمرُ الأولُ: الإيمانُ بوجودِ اللهِ سبحانه وتعالى، فما من فطرةٍ سليمةٍ  
لم تتلوَّثْ إلا وتؤمنُ أن اللهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** موجودٌ.

الأمرُ الثاني: الإيمانُ برُبوبِيتهِ سبحانه، وهو الاعتقادُ بأنَّه خالقُ كلِّ شيءٍ  
سبحانه، فما من شيءٍ في هذا الكونِ إلا وخالقه اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فإذا قرأت في كتابِ اللهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وجدتَ أنَّ هذا المُعتقدَ وهذا الإيمانَ كانَ  
يؤمنُ به مُشركو قريشٍ، كانوا يؤمنون أنَّ الخالقَ هو اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الَّذِي آمَنُوا  
بوجودِهِ؛ لذا قالَ الحقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة العنكبوتِ: ﴿ **وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُوَفِّكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ  
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ أَرَادَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾** ﴿  
[العنكبوت: ٦١-٦٣].

الأمرُ الثالثُ: الإيمانُ بألوهِيتهِ سبحانه وتعالى، أي: إفراده سبحانه وتعالى  
بالعبادة، فلا تُصلُّ إلا لله، ولا تُزكُّ إلا لله، ولا تذبَحُ إلا لله، ولا تنذُرُ إلا لله، فكلُّ  
هذه العباداتِ لا تُصرفُ إلا لله سبحانه، قالَ سبحانه وتعالى في سورة التوبة: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا  
يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾** [التوبة: ٣١].



الأمر الرابع: الإيمانُ بأسمائه وصفاته، أي: أن تُؤمنَ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى الأسماءَ الحُسنى والصفاتِ العُلى، وأنَّ تُثبتَ لله ما أثبتَهُ لنفسِهِ مِنَ الأسماءِ والصفاتِ، وما أثبتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ على الوجهِ الَّذِي يَلِيْقُ بِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ**، قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

### الحقُّ الثاني: الاستقامةُ على دينِ الله.

إِذَا آمَنْتَ بِاللَّهِ؛ فَاسْتَقِمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ، قَالَ الْحَقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** - فِي سُورَةِ فَصَّلَتْ -: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۖ أَي: جَاؤُوا بِالْحَقِّ الْأَوَّلِ: ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾، أَي: تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَتَسْتَقِيمُ عَلَى طَرِيقَتِهِ الَّتِي أَرَادَهَا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، هَذَا فِي سُورَةِ فَصَّلَتْ، وَفِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ قَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣) **أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤)** [الأحقاف: ١٣، ١٤].**

وَجَاءَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدَّثَنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: **«قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ»** هَذَا الْحَقُّ الْأَوَّلُ، **«ثُمَّ اسْتَقِمْ»** (١). وَهُوَ الْحَقُّ الثَّانِي.

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٤١٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الزَّهْدِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ، رَقْمُ (٢٤١٠)، وَابْنُ مَاجَةَ: كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ، رَقْمُ (٣٩٧٢). وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيْمَانِ، بَابُ جَمَاعِ أَوْصَافِ الْإِسْلَامِ، رَقْمُ (٣٨)، بَلْفِظَ: «قُلْ: آمَنْتَ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمْ».

### الحقُّ الثالثُ: أن تُسارعَ بالتوبةِ إليه سبحانه.

فإذا آمَنتَ باللهِ وحيئتَ بالحقِّ الأولِ، ثمَّ استَقَمَّتْ على طريقتِهِ الَّتِي أَرَادَهَا سبحانه، فاعلَمَ أَنَّهُ لا بدَّ لك من السقطاتِ، ولا بدَّ من الخطأ؛ فعجِّلِ التوبةَ إليه سبحانه؛ لَذا أَرشَدَنَا المولى سبحانه وتعالى قائلاً: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وفي الموضعِ الآخرِ في سورة الحديدِ قال سبحانه وتعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَعْفَرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

فهنا يخاطبُ اللهُ سبحانه وتعالى بهذا الحقِّ الثالثِ الَّذِينَ أَتَوْا بِالْحَقِّ الْأَوَّلِ والثاني، فيقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحریم: ٨]، مع وجودِ الإيمانِ، والله سبحانه وتعالى يذكرُ لهم هذا الحقَّ أَنَّهُمْ قَدْ أَتَوْا بِهِ، لَكِنْ يُوجِّهُهُمْ إِذَا وَقَعَ مِنْكُمْ الْخَطَأُ فَتُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا.

وفي الموضعِ الرابعِ يقول اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَتُوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوْبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»<sup>(١)</sup>.

فحينما يقولُ النبيُّ ﷺ لمعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» وعدَّهُمْ بهذا الحقِّ الآخرِ، فقال: «أَلَا يُعَدِّبُ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر، باب استحباب الاستغفار، رقم (٢٧٠٢)، من حديث الأغر المزني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

### الحق الرابع: أن يفعلوا ذلك كله وهم يحبون خالقهم سبحانه.

فمن الحقوق لله أن تُحِبَّ الله سبحانه وتعالى، وتتقرب إليه بصنوف العبادات وأنت تحمل في قلبك الحب له سبحانه، وأن تُحِبَّ ما يُحِبُّ سبحانه، وهذا الحق ذكره الله تبارك وتعالى حينما قال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ [المائدة: ٥٤].

فإذا صام صام وهو يُحِبُّ الذي فرض عليه الصيام، وإذا أخرج زكاة ماله أخرجها وهو يُحِبُّ الذي أوجب عليه الزكاة، وإذا قام من فراشه ليصلي قام وهو يُحِبُّ الذي فرض عليه الصلاة، يفعل العبادات وهو يُحِبُّ من أمره بها، كما قال الحق سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال النبي ﷺ كما جاء في صحيح البخاري: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

إنها حقوق على العباد لله تبارك وتعالى، والعاقل هو الذي يلتزم بها؛ ليحصن ويكافأ بموعد الله تبارك وتعالى، قال: «أَلَّا يُعَذَّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».



(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم (١٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم (٤٣)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(١٢)

## شجرة الإخلاص (١)

•• k ••

الإخلاص هو حقيقة الدين، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾ [البينة: ٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وفي صحيح مسلمٍ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «العملُ بغيرِ إخلاصٍ ولا اقتداءٍ كالمسافرٍ يملأُ جرابَهُ رملًا يُثْقَلُهُ ولا يَنْفَعُهُ»<sup>(٢)</sup>.

وقال في موضعٍ آخرٍ من كتابه «الفوائد»: «الإخلاصُ والتوحيدُ شجرةٌ في القلبِ، فروعُها الأعمالُ، وثمرُها طيبُ الحياةِ في الدُّنيا والنَّعيمُ المُقيمُ في الآخرة»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥).

(٢) الفوائد (ص: ٤٩).

(٣) الفوائد (ص: ١٦٤).

والإخلاص هو أن تجعل عملك لله وحده، فلا يلتفت قلبك إلى شيء غير الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، حتى لو التفت القلب بهذا العمل إلى الله وإلى شيء آخر فهذا ليس بإخلاص، إنما هذا شرك.

لذا قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في الحديث القدسي: **«أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتَهُ وَشِرْكُهُ»**.

فالصلاة لله، والصيام لله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لله، إحسانك لا بد أن يكون لله، وبرك لو الديك لا بد أن يكون لله، فلا يلتفت قلبك إلى غير الله، فإذا التفت رد العمل ولم تُحصَلِ الثمرة.

وحتى تنال ثمرة الإخلاص لا بد من مجاهدة ومعالجة؛ لأنه شديد، كما قال سفيان **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «ما عالجت شيئاً قط أشد علي من نفسي، مرة علي ومرة لي»<sup>(١)</sup>.

والإخلاص له ثمرات كثيرة، منها:

الثمرة الأولى: دخول جنات النعيم، وهي أعظم الثمار، وتُغني عن غيرها من الثمار، فالمخلصون هم الفائزون بجنات النعيم، قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾<sup>(٤٠)</sup> أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ<sup>(٤١)</sup> فَوَكَهَهُمْ مَكْرَمُونَ<sup>(٤٢)</sup> فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ<sup>(٤٣)</sup>

[الصافات: ٤٠-٤٣].

هذه أعظم الثمار، فالمخلص جزاؤه عند الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** هذه المتعة واللذة في جنات النعيم، نعم قد تكون من العالمين، وهذا لا ينفع، فتضم إلى العلم العمل، وهذا أيضاً لا ينفع، بل لا بد من الإخلاص؛ لذا قيل: «الخلق كلهم هلكي إلا

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧ / ٥).

العالمون، والعالمون كلهم هلكت إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكت إلا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيمٍ»<sup>(١)</sup>.

الثمرَةُ الثانيةُ: قبولُ العملِ، فأعمالنا مقبولةٌ إذا أخلصنا، يُقبَلُ بهذه المادة، وبهذه الشجرة، دلَّ على ذلك قولُ النبي ﷺ، ففي حديثِ أبي أمامة الباهليِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندَ النسائيِّ، يقولُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتِغَى بِهِ وَجْهَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وبذلك جاءت وصايا السلفِ كِيَحْيَى بنِ أَبِي كَثِيرٍ، يقولُ: «تَعَلَّمُوا النِّيَّةَ فَإِنَّهَا أْبْلَغُ مِنَ الْعَمَلِ»<sup>(٣)</sup>.

فلا بدَّ أن تكونَ هذه النيةُ حاضرةً لديك دائماً أنّها لله، والله سبحانه وتعالى مُطَّلِعٌ على هذا القلبِ الَّذِي هُوَ محلُّ لهذه النيةِ.

الثمرَةُ الثالثةُ: الفوزُ بشفاعَةِ النبي ﷺ، وَمَنْ مِنَّا فِي غَنَى عَن شَفَاعَتِهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! فَقَدْ جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البيهقي بنحوه في شعب الإيمان رقم (٦٤٥٥)، عن ذي النون المصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وانظر: إحياء علوم الدين (٣/٤١٤).

(٢) أخرجه النسائي: كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر، رقم (٣١٤٠).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/٧٠).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم (٩٩)، من حديث أبي هريرة

الثمرة الرابعة: النصر والتمكين، سواءً على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات أو على مستوى الأمم، كلما أخلصت خلصت، ولا خلاص إلا بالإخلاص.

فقد جاء عند النسائي من حديث مُصعب بن سعدٍ عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ، وَصَلَاتِهِمْ، وَإِخْلَاصِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

هذه هي المواد الأولى في النصر والتمكين على مستوى الأفراد والجماعات والأمم.

الثمرة الخامسة: هي ثمرة عجيبة، فإذا أخلصت في عملك ولم تُرد إلا الله، وأقبلت بقلبك عليه سبحانه؛ أقبل عليك بقلوب العباد كلهم.

دليل ذلك في سورة مريم، قال الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٩٦﴾ أَي: أَخْلَصُوا فِي عَمَلِهِمْ ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦]، أي: يوضع لهم القبول والرضا والمودة والرحمة في الأرض.

وقد جاء في تفسير هذه الآية عن هرم بن حيان رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «مَا أَقْبَلَ عَبْدٌ بقلبه إلى الله عز وجل إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم»<sup>(٢)</sup>.

فتجد قلوب المؤمنين تُقبل على المخلص، وتجد له القبول في غالب قلوب

(١) أخرجه النسائي: كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف، رقم (٣١٧٨).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (١٥/٦٤٣ - ٦٤٤)، والبيهقي في الزهد الكبير (٧٩٩).

المؤمنين، وتجدُّ له المحبة والمودة، والسببُ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى جعلَ مِن ثمارِ هذه الشجرةِ القبولَ والرِّضا في الأرضِ.

الثمرةُ السادسةُ: النيةُ - وهي الإخلاصُ - قد تنالُ بها الأجرَ دونَ العملِ، قال ابنُ المبارك **رَحِمَهُ اللهُ**: «رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُعْظِمُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ»<sup>(١)</sup>.

والنيةُ والإرادةُ يُقصدُ بهما الإخلاصُ، فإمَّا أنْ تَجْعَلَهَا اللهُ أو تَجْعَلَهَا لغيرِ اللهِ، قالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ **رَحِمَهُ اللهُ**: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْكَ نِيَّتَكَ وَإِرَادَتَكَ»<sup>(٢)</sup>.

وقد جاءَ عندَ ابنِ ماجه، مِن حَدِيثِ جَابِرٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: خَرَجَ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** غَازِيًا إِلَى تَبُوكَ - وَتَبُوكُ بَعِيدَةٌ عَنِ الْمَدِينَةِ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ جِبَالٌ وَأَوْدِيَةٌ وَشَعَابٌ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ كِيلُو تَقْرِيًّا - فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ غَزْوَتِهِ رَجَعَ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ رِجَالًا مَا قَطَعْتُمْ وَاذِيًا وَلَا سَلَكْتُمْ طَرِيقًا إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ»<sup>(٣)</sup>.

هؤلاءِ لم يَخْرُجُوا مَعَهُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، وَلَمْ يُعَانُوا التَّعَبَ وَالإِرْهَاقَ وَالْجُهْدَ، بَلْ كَانُوا فِي الْمَدِينَةِ، لَكِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُمْ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُمْ لَوْلَا أَنْ حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ.

(١) انظر: قوت القلوب (٢/ ٢٧٥)، وإحياء علوم الدين (٤/ ٣٦٤)، تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ٢٣٧).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٧١).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر، رقم (١٩١١)، وابن ماجه: كتاب الجهاد، باب من حبسه العذر عن الجهاد، رقم (٢٧٦٥).



فَأَنْتَ رُبَّمَا تَنْوِي الْخَيْرَ، وَلَكِنْ لَا تَتِمَّكَ مِنْ عَمَلِهِ؛ فَتُؤَجِّرُ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ تَنْوِي طَاعَةً، وَلَكِنْ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهَا؛ فَتُؤَجِّرُ عَلَى ذَلِكَ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ النِّسَائِيِّ: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ؛ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(١)</sup>.

فَالْعَاقِلُ مَنْ يَسْتَثْمِرُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ، فَيَنْوِي الْخَيْرَ مِنَ الْآنَ؛ لِيُكْتَبَ لَهُ الْأَجْرُ، وَلِيَنْوِيَ فِعْلَ الْخَيْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، أَوْ فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ الْقَادِمِ؛ فَإِنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ الْأَجْرُ حَتَّى وَإِنْ حُبِسَ مِنَ الْعَمَلِ بَعْدَ لَيْسَ لَهُ فِيهِ يَدٌ وَلَا قَصْدٌ.



(١) أخرجه النسائي: كتاب قيام الليل، باب من أتى فراشه وهو ينوي القيام، رقم (١٧٨٧)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن نام عن حزيه من الليل، رقم (١٣٤٤).

K

K

(١٣)

## شجرة الإخلاص (٢)

•• k ••

تحدّثنا فيما مضى عن شجرة الإخلاص، وعن ثمار تلك الشجرة، وحرّيّ  
بالمؤمن أن يعيش مخلصاً لله في عمله، فإن العبرة بما استقرّ في هذا القلب، وبما  
أثمرت تلك الشجرة.

ولكن قد يسأل سائل فيقول: كيف أحصل الإخلاص؟

هذه بعض وسائل تحصيل الإخلاص، من أخذ بها رشد، ومن استمسك بها  
هديّ ووفق، فإذا أردت أن تستقرّ في قلبك شجرة الإخلاص، وأن تتذوق من  
ثمارها فدوتك هذه الوسائل:

الوسيلة الأولى: عليك بتعظيم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فإن العبد إذا عظم الله كان  
هذا مدعاة إلى الإخلاص، فإنك إذا علمت بعظمة الخالق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يمكن أن  
تصرف شيئاً من الأعمال إلى من هو دونه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ لذا يقول الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:  
**﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾** [الحج: ٧٤]، يستنكر على هؤلاء  
الذين لم يعظموا الله.

وفي موضع آخر في سورة الزمر قال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: **﴿ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَجْبُطَنَّ عَمَّا كَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾** (٦٥) **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ** ﴿ أي:  
كن مخلصاً، **﴿ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾** (٦٦) **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴿ هناك ارتباط بين  
تعظيم الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وتحقيق الإخلاص. **﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر: ٦٥-٦٧].

فإلى من ستصرف هذا العمل، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** هذه الدنيا كلُّ الدنيا والسَّمَوَاتُ مطوياتٌ بيمينه؟! وماذا تريد من الخير حينما تصرف عبادةً ينبغي ألا تصرف إلا لله فإذا بك تصرفها هنا أو هناك؟

الوسيلة الثانية: تعرّف على الإخلاص وعلى أهميته، فأهمية الإخلاص عظيمة، وكيفك أن تعلم أن الناس يُبعثون يوم القيامة بما في قلوبهم، جاء في سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ النَّبِيُّ **ﷺ**: **«إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَىٰ نِيَّاتِهِمْ»** (١).

فنيّتك في الدنيا تُبعثُ عليها يوم القيامة، فما هي نيّتك من إحسانك، وبرّك، وصلاتك، وصدقتك وصيامك، وحجّك، وأمرّك بالمعروف، ونهيك عن المنكر؟ لأنك تُبعثُ عليها يوم القيامة؛ لذا قَالَ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** في ذلك اليوم: **﴿يَوْمَ بُلَىٰ التَّرَائِيءُ﴾** [الطارق: ٩]، فهذه الأمور التي أسررتها الله سيبينها **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**.

وتكمن أهمية الإخلاص في أن أجره عظيم، كيف لا، والله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** يقول لنا في سورة الإسراء: **﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾** أي: أخلص في عمله، وأراد الآخرة، **﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾** [الإسراء: ١٩].

وجاء في سنن الترمذي من حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ رَسُولُ اللهِ **ﷺ**: **«وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»** (٢)، فتعرّف على الإخلاص، واعلم أن العبد إذا أخلص كفاه الله همّ الدنيا.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٩٢)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب النية، رقم (٤٢٢٩).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٦٥).

وجاء في مُسند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ»<sup>(١)</sup>.

فَتَعَرَّفَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، وَانظُرْ هَمَّكَ إِلَى أَيْنَ وَأَنْتَ تَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِعِبَادَةٍ، وَاجْعَلْهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ مَتَشَعَّبًا، قَالَ: «وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ»، كَأَنْ يَرِيدَ ثَنَاءً مِنْ فُلَانٍ، أَوْ وَيَرِيدُ مَكَافَأَةً مِنْ فُلَانٍ، أَوْ يَتَرَصَّدُ مَنْصَبًا بَعْدَ أَيَّامٍ، أَوْ يَرِيدُ بِهَذَا الْعَمَلِ الَّذِي يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ، يَرِيدُ بِهِ الدُّنْيَا، وَالْهُمُومُ كَثِيرَةٌ، قَالَ: «وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ».

الوسيلة الثالثة: أَنْ تَتَعَلَّمَ كَيْفَ تَخْلُصُ، فَإِنَّهُ عِلْمٌ، وَقَدْ جَاءَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْحَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَالوَاجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ وَالِدُّعَاةِ: أَنْ يُعَلِّمُوا النَّاسَ الْإِخْلَاصَ، فَهَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَهْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «وَدِدْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ مَنْ لَيْسَ لَهُ شُغْلٌ إِلَّا أَنْ يُعَلَّمَ النَّاسَ مَقَاصِدَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَيَقْعُدُ إِلَى التَّدْرِيسِ فِي أَعْمَالِ النِّيَاتِ لَيْسَ إِلَّا»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه: مقدمة السنن، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، رقم (٢٥٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٢٦٦٣)، وأبو نعيم في الحلية (١٧٤/٥)، والبيهقي في الشعب رقم (١٠٢٥٤).

(٣) انظر: المدخل لابن الحاج (٣/١).

وقد تقدّم قولُ يحيى بن أبي كثيرٍ **رَحِمَهُ اللهُ** حينما قال: «تعلّموا النية، فإنّها أبلغُ من العمل»<sup>(١)</sup>.

الوسيلةُ الرابعةُ: جاهدْ هذه النفسَ، وراقبها؛ فإنّها تطمَعُ في ثَمرةِ الدُّنيا، فهذا الخطيبُ الذي يخطبُ لأنّه يستلذُّ بمدحِ الناسِ، فهذا ليسَ بمخلصٍ، أو يصليُّ ليُقالَ له: ما أجملَ صوتك! فهذا ليسَ بمُخلصٍ، أو يُظهرُ للناسِ عمله وفي نيته أن يكسبَ عددًا من الناخبينَ بعدَ سنةٍ، وحريصٌ هذه الأيامِ أن يُبرزَ كثيرًا من الأعمالِ؛ لأنّه يفكرُ في استحقاقِ انتخابٍ بعدَ سنةٍ، كيف يصلُ إليه؟

فانتبهْ إلى العملِ الَّذي تتقربُ به إلى اللهِ واجعله لله فقط، هذه النفسُ تريدُ أن تنحرفَ فجاهدْها، قالَ اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُوا اللهُ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴿ [الحشر: ١٨-١٩].

قالَ الحسنُ **رَحِمَهُ اللهُ**: «رحمَ اللهُ عبدًا وقفَ عندَ همّه -أي: عندَ نيته- فإن كانَ لله مَضَى، وإن كانَ لغيره تأخَّر»<sup>(٢)</sup>.

وقالَ سُفيانُ **رَحِمَهُ اللهُ**: «ما عاجلتُ شيئًا قطُّ أشدَّ عليَّ من نفسي مرةً عليَّ ومرةً لي»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٧٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (٣٦٣٣٥)، والبيهقي في الشعب رقم (٦٨٩٤).

وانظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٤٠٠)، وإغاثة اللهفان (١/ ٨١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٥).

ووسائل تحصيل الإخلاص مَوْجُودَةٌ فِي شَرِيعَتِنَا، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَلَّنَا عَلَيْهَا فِي كِتَابِهِ، وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

الوسيلة الخامسة: استعين بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَقُلْ: يَا اللَّهُ أَسْأَلُكَ الْإِخْلَاصَ؛ لِأَنَّ نَقِيضَ الْإِخْلَاصِ: الرِّيَاءُ، وَهُوَ خَفِيُّ جَدًّا، وَقَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشُّرْكَ» أَيِ: الرِّيَاءِ، «فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، لَوْ مَرَّ بِجَانِبِكَ مَجْمُوعَاتٌ مِنَ النَّمْلِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْمَعَ خُطَايَاهَا، وَدَبِيبَهَا، فَالرِّيَاءُ أَخْفَى مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ تَنْقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَأَرْشَدَهُمْ قَائِلًا: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ»<sup>(١)</sup>، فَاسْتَعِينَ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّ هَذَا الْقَلْبَ وَهَذِهِ النَّفْسَ تَتَقَلَّبُ، وَتَرِيدُ الْعَاجِلَةَ، وَتَرِيدُ تَحْصِيلَ الدُّنْيَا، وَتَرِيدُ أَنْ تَرَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرِيدُ لَنَا الْآخِرَةَ الْبَاقِيَةَ، وَلَا يَرِيدُ لَنَا هَذِهِ الْفَانِيَةَ الزَّائِلَةَ.

هَذِهِ وَسَائِلُ خَمْسٍ، مَنْ أَخَذَ بِهَا جَادًّا حَازِمًا وَفَقَّ بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ تَنْبَتُ فِي قُلُوبِهِمْ شَجَرَةُ الْإِخْلَاصِ.



(١) أخرجه أحمد (٤/٤٠٣).

K

K

(١٤)

## احذروا القصاص يوم القيامة

•• k ••

إِنَّ مِنْ عَدْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ جَعَلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسْمًا يَوْمَ الْفَصْلِ، وَيَوْمَ الْجَزَاءِ، وَيَوْمَ الدِّينِ، وَهُوَ يَوْمٌ تَجْتَمِعُ فِيهِ الْخُصُومُ، وَهُوَ يَوْمُ الْقَصَاصِ، يُقْتَصُّ لِهَذَا الْمَظْلُومِ مِنَ ظَالِمِهِ، فَحَرِيٌّ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يُبْقِيَ هَذَا الْيَوْمَ حَيًّا فِي ضَمِيرِهِ، حَاضِرًا فِي عَقْلِهِ، بَاطِنًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ قُضِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ يَوْمَ لَا دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث المشهور المحفوظ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ؟» قالوا: المفلسُ فينا يا رسولَ اللهِ مَنْ لا درهمَ لَهُ ولا متاعَ. قَالَ: «الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ، وَصِيَامِهِ، وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْعَدُ فَيُقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الصدقات، باب التشديد في الدين، رقم (٢٤١٤)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إنَّه القصاصُ، ولكنَّه قصاصٌ في الحَسَنَاتِ؛ في حَسَنَاتِ الصَّلَاةِ، وحَسَنَاتِ الصِّيَامِ، وحَسَنَاتِ الصَّدَقَاتِ، والقصاصُ يومَ القِيَامَةِ لا يُمكنُ أن يُدفعَ بالدينارِ والدرهمِ، ولا بالجَاهِ والمنصبِ، ولا بالتحايلِ على ثغراتِ في قانونِ. والقصاصُ يومَ القِيَامَةِ بينَ يَدَيِ الحَقِّ سبحانه يكونُ في هذه الحَسَنَاتِ والسيئاتِ، وهَاهُنَا صورٌ فقطٌ للتذكيرِ، يُقتَصُّ فيها يومَ القِيَامَةِ لهؤلاءِ الَّذِينَ تَأَلَّمُوا وتحسَّروا على فواتِ حقوقِهِم في الدُّنْيَا، فإنَّ يومَ القِيَامَةِ تُسترجعُ فيه الحقوقُ؛ حقوقُ المَالِ والعَرَضِ، والدَّمَاءِ، وغيرِ ذلكَ منَ الحقوقِ. المَثَلُ الأوَّلُ: يُقتَصُّ في الدَّمَاءِ.

هذه الدَّمَاءُ الَّتِي أُهْدِرَتْ وَسُفِكَتْ بِغَيْرِ حَقٍّ، أوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدَّمَاءِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - والحديثُ في صحيحِ مسلمٍ -: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدَّمَاءِ»<sup>(١)</sup>.

فاحذَرُ أن يَأْتِيَ إنسانٌ يومَ القِيَامَةِ يُطالبُكَ بِدَمِهِ، ففي الدُّنْيَا قد تتخلصُ منَ ذلكَ بديَّةٍ تدفعُها، أو بوجاهةٍ قد تحطى بها، أو بشفاعةٍ، أو بغيرِ ذلكَ، ولكنَّ الحَقَّ إذا بقيَ إلى يومِ القِيَامَةِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَغِضَبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وهؤلاءِ الَّذِينَ يَسْتَهْتِرُونَ بالدَّمَاءِ، إذا حُكِمَ عَلَى أَحَدِهِم بالسجنِ سنَّةً أو

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القِيَامَةِ، رقم (٦٥٣٣)، ومسلم: كتاب القسامة، باب المجازاة بالدَّمَاءِ فِي الآخِرَةِ، رقم (١٦٧٨)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



أكثر من ذلك، ربما تضايق وتحسّر وتأفف، فكيف بمن يكون سجينه في يوم القيامة خالداً فيها، كيف الخلاص؟ فرسالتى للذين يستهترون بالدماء، سواء فيما نرى من هذه الخصومات التي تحدث بين الناس، ففي حالة غضب، أو حمية وعصبية، قد يتجرأ أحد المتخاصمين بضرب خصمه حتى القتل، فيكون قد أهدر دمًا، وهذا يوجب القصاص يوم القيامة.

وهذا الشاب المستهتر الذي يتجاوز بسيارته هذه السرعة القانونية فيصدم ويقتل، وربما تزهق بسبب هذا الحادث أنفس، فتكون هناك أسرة بكاملها ستقف يوم القيامة تطالب بالقصاص، وربما يتسبب في قتل من معه من أهله في سيارته، ومع ذلك سيقفون كلهم يوم القيامة للقصاص.

قال رسول الله ﷺ: **«لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ»**<sup>(١)</sup>؛ أي: لو اشترك أهل السماء والأرض في قتل مؤمن واحد لأكبهم الله على وجوههم في النار.

وقال الله سبحانه وتعالى: **﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾**؛ لذا لا تتورط في هذا المسلك، وهي من أعظم الورطات، فإذا غضبت في حال خصومتك، فأبعد ما تفكر فيه القتل.

وقد روي أن الحجاج وقف يخاطب العالم الرباني سعيد بن جبير **رَحِمَهُ اللَّهُ**،

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الديات، باب الحكم في الدماء، رقم (١٣٩٨)، من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.

وهو يريد أن يقتله، فقال: «يا سعيد، اختر أي قتلة تريد أن أقتلك بها»، فدمغته سعيد بن جبير **رَحْمَةُ اللَّهِ** بجواب لم يتوقعه الحجاج، قال: «يا حجاج، اختر أنت، فالقصاص أمامك، كما تدين تُدان، والجزاء من جنس العمل، على أي هيئة قتلتني ستقتل بها يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

**الصورة الثانية:** الذي يغتر بقوته وسلطانه وجاهه فيضرب الآخرين، فمن ضرب ظلماً في الدنيا، كان القصاص من حسناته يوم القيامة، كذلك الذي يتسلط بجبروته على زوجته بالضرب ظلماً، أو على أولاده ظلماً، أو بسبب وظيفته ظلماً. ويؤلمك أن ترى أو تسمع معلماً يضرب طالباً، أو رب أسرة يضرب خادماً في البيت، أو رئيساً يضرب مرؤوساً عنده في العمل، قال رسول الله **ﷺ**: «**مَنْ ضَرَبَ بَسَوطٍ ظُلْمًا اقْتَصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»<sup>(٢)</sup>.

والقصاص هناك يكون في الحسنات والسيئات، فيؤخذ من حسناته فتعطى لهذا المظلوم، فإن لم يكن له حسنات -لأنه بطش في الدنيا كثيراً والغرماء أكثر، هذا يأخذ من حسناته، وهذا يأخذ من حسناته- أخذ من سيئاتهم فطرح عليه ثم طرح في النار.

قال أبو مسعود البدري الصحابي الجليل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: في يوم كنت أضرب غلاماً لي، فسمعت صوتاً من خلفي يقول: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ**»، قال: من شدة

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢٩٤)، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٣١): «هذه حكاية منكرة، غير صحيحة».

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (١٤٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٤٥)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

الغضبِ ما عَرَفْتَ الصوتَ، فالتفتُ فإذا هوَ رسولُ اللهِ ﷺ، فسقطَ السوطُ من يدي، قال: «اعلمَ أبا مسعودٍ لَلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»، قال: هوَ حرٌّ لوجهِ اللهِ يا رسولَ اللهِ. قال: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لِلْفَحْتِكَ النَّارُ»<sup>(١)</sup>.

وقد يحصلُ لأحدنا ذلك، فتأتي مثلُ هذهِ المواعظِ والدروسِ لِنَسْتَفِيدَ مِنْهَا ونُحَسِّنَ المسلكَ في حياتنا والمنهجِ.

**الصورةُ الثالثةُ:** صورةُ الَّذِينَ يَنْتَهِكُونَ الْأَعْرَاضَ وَيَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهَا، وجاءَ من حديثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وهو يَحْصِنُ لَنَا هَذَا الْمَجْتَمَعَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ قَالَ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ، كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ». أي: المجاهدُ الَّذِي يَذْهَبُ لِلْغَزْوِ، وَالْمُرَابِطُ مِنْ رِجَالِ الْأَمْنِ الَّذِي يَذْهَبُ لوظائفِهِ، سواءَ كانتَ فِي الدَّخْلِ أَوْ فِي الْخَارِجِ، وَيَتْرُكُ زَوْجَتَهُ وَبَنَاتِهِ، وَرُبَّمَا تَرَكَهَا - أَوْ تَرَكَهُمْ - عِنْدَ أَخِيهِ، أَوْ عِنْدَ ابْنِ عَمِّهِ، أَوْ عِنْدَ جَارِهِ، وَيَذْهَبُ فِي هَذَا الْوَجِبِ الْأَمْنِيِّ، فِي وَظِيفَةٍ، أَوْ فِي رِبَاطٍ، أَوْ فِي جِهَادٍ، تَتَحَوَّلُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ لِهَذَا الرَّجُلِ الْمُتَخَلِّفِ كَحُرْمَةِ أُمِّهِ، انظُرْ إِلَى هَذَا التَّحْصِينِ.

قال: «وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ، فَيُخُونُهُ فِيهِمْ إِلَّا وَقَفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ حَتَّى يَرْضَى».

قال بُرَيْدَةُ: فالتفتَ رسولُ اللهِ ﷺ إلينا ثم قال: «تَرَوْنَ يَدْعُ لَهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ

شَيْئًا؟»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الأيمان، باب صحبة المالك وكفارة من لطم عبده، رقم (١٦٥٩).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب حرمة نساء المجاهدين، رقم (١٨٩٧)، والنسائي: كتاب الجهاد،

باب من خان غازيا في أهله، رقم (٣١٩١).

إنه القصاص، فالعاقل الراشد هو الذي يجعل هذا اليوم بين عينيه حاضرًا، فلا يتعرض لدم أحد، ولا لمال أحد، ولا لعرض أحد.

وخرج أبو ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النبي ﷺ، فقال: رأى رسول الله ﷺ شاتين يتطحان، قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي فِيمَا يَتَّطِحَانِ؟» قال: قلت: لا. قال: «وَلَكِنَّ رَبَّكَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>؛ فهاتان شاتان غير مكلّفتين، ومع ذلك سيقْتَصُّ ربُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى للمظلومة منهنَّ من الظالمية، لَمَّا اغْتَرَّتْ بقرونها ورتبتها وقوتها وحجمها، ثم يقول: كونوا ترابًا.

والخلاصة: أنَّ اليوم هو يومُ الإمهال، فبادِرْ أن تتحلَّلَ اليومَ والفرصةُ متاحةً، فمَنْ أخذَ أموالَ الناسِ ظلمًا، أو يسكُن في بيتٍ ولا يدفع الأجرة، وقد يشتكي منه صاحبُ البناية، ويقول: أجزقي! لم تُعْطِنِي إِيَّاهَا. فيقول له المستأجر: دونك المحاكم، اذهبْ فاشتكَ ثلاثَ سنواتٍ، أو أربعَ سنواتٍ، فكيفَ يأكلُ هذا المَالَ الحرامَ؟ يومَ القيامةِ سيقتَصُّ من حسناته.

كذلك الَّذي يَنْتَهِكُ أعراضَ المؤمنينَ والمؤمناتِ بلسانه أو بيده أو بفرجه، عليه أن يتحلَّلَ اليومَ، وأيضًا الظالمُ لأولاده، أو لوالديه، عليه أن يتحلَّلَ اليومَ، فقد قال رسولُ الله ﷺ، والحديثُ عندَ البخاريِّ من حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ مِنْ مَالٍ أَوْ عَرَضٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ يَوْمَ لَا دِينَارَ وَلَا دِرْهَمَ»<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه أحمد (١٦٢/٥)، والطيالسي في المسند رقم (٤٨٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب من كانت له مظلمة عند الرجل، رقم (٢٤٤٩).



(١٥)

## الاجتهاد في شعبان

•• k ••

حينما يأتي شهر شعبان تكثُر الوصايا والمواعظُ والخُطبُ في التشجيع على استغلاله، فلماذا هذا الاهتمامُ بشأنِ شعبان؟ ولماذا هذا التذكيرُ بشأنه؟!

الجوابُ على ذلك في هذه المسائلِ الثلاثِ:

**المسألة الأولى:** نعلمُ جميعاً أنَّ النفسَ مهيئةٌ لتعودِ الخيرَ والصلاحَ والطاعةَ، ففي شهرِ شعبانِ فرصةٌ أن نعتادَ الخيرَ، والصلاحَ والطاعاتِ؛ حتى لا يدخلَ علينا رمضانٌ فتفاجأَ هذه النفسُ؛ لذا جاءَ في الحديثِ عندَ ابنِ ماجهٍ في سننه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«الخيرُ عادةٌ، والشرُّ لجاجَةٌ، ومَنْ يُردِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»**<sup>(١)</sup>.

يخبرنا رسولُ الله ﷺ أنَّ الخيرَ عادةٌ، أي: أنَّه يُؤلَّفُ، فقد جعلَ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هذه النفوسَ وجبلها وطبعها على أنَّها تألَّفُ الخيرَ وتعتادُه، ولا تستنكفُ منه.

فالعاقلُ هو الذي يُعوِّدُ نفسه على صنوفٍ من الخيراتِ في شهرِ شعبانٍ؛

(١) أخرجه ابن ماجه: مقدمة السنن، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم (٢٢١)، من حديث معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

حَتَّى إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَإِذَا بِهِذِهِ النَّفْسِ قَدِ اعْتَادَتِ الْخَيْرَ، وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ الشَّرَّورَ تَتَرَدَّدُ مَعَ هَذِهِ النَّفْسِ، بِخِلَافِ الْخَيْرِ الَّذِي تَأْلَفُهُ النَّفُوسُ.

المسألة الثانية: أن أيام شهر شعبان التي عددها كعدد أيام رمضان، وكعدد أيام سائر الشهور، وهي أشبه ما تكون بفترة الإحماء، فهذه الأجساد إذا أرادت أن تقبل على نشاط بدني نصحت بالإحماء قبل أن تقبل على هذا النشاط، وتدبروا في أي لعبة رياضية يأمر مدير الفريق أحد اللاعبين الذي يريد إشراكه في هذه اللعبة بالإحماء، فعلى الرغم من أنه لاعب ومحترف ويلعب في مسائه وفي صباحه، إلا أنه يُطالبه بإحماء جسده.

فهذه النفوس في شعبان تحتاج إلى هذا الإحماء، فلا تستغرب أن تعكف على القرآن في رمضان؛ لأنها اعتادت ذلك في شعبان، ولا تستنكف من الصيام؛ لأنها اعتادت ذلك في شعبان، ولا تستنكف من القيام؛ لأنها اعتادت ذلك في شعبان.

قال رسول الله ﷺ - كما جاء عند الطبراني في معجمه الكبير - من حديث أنس رضي الله عنه، قال: «أفعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن الله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وأسألوا الله أن يسر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية عنده في معجمه الأوسط من حديث محمد بن مسلمة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «إن لربكم عزجلاً في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٥٠، رقم ٧٢٠)، والبيهقي في الشعب رقم (١٠٨٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

فأقبل في شهر شعبان على صنوف الطاعات، سواء الفرائض منها والنوافل، وعود هذه النفس؛ حتى إذا أقبل عليك رمضان فإذا بهذه النفس قد تعودت. وأعظم ما يتقرب به إلى الله أداء الفرائض، والإكثار من النوافل.

وكلنا يعرف ذلك الحديث القدسي، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيدَنَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

فذاك الشخص قد أكثر من النوافل، وحافظ على الفرائض، فجاءت هذه السبع: أحبه الله، وحفظ له سمعه وبصره، وأيده في خطواته وفي حركة يديه، وأعطاه ما سأل، وأعادته مما استعاذ.

وأعظم ما يكون في شهر شعبان من تهيئة هذه النفوس للإقبال على الصيام، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تصف لنا حال النبي ﷺ، والحديث في البخاري، قالت: «وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ»<sup>(٣)</sup>.

وصيام اليوم الواحد جاء في فضله الشيء العظيم، فقد قال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/٢٣٣، رقم ٥١٩)، وفي الأوسط رقم (٢٨٥٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب صوم شعبان، رقم (١٩٦٩)، ومسلم: كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان، رقم (١٧٧/٧٨٢).

«مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»<sup>(١)</sup>؛ أي: يومٌ واحدٌ سواءً كان في شعبان أو في غير شعبان، وقد قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَنْ أُنْبِتَ عَنِ النَّارِ: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْغُرُورِ﴾** [آل عمران: ١٨٥].

المسألة الثالثة: لأنه شهرٌ ترفع فيه الأعمال إلى ربِّ العالمين، فقد جاء في مُسند الإمام أحمد قال أسامة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ أَرْكَ تَصَوْمُ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصَوْمُ مِنْ شَعْبَانَ، فَقَالَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»<sup>(٢)</sup>. قال هذا رسولُ الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الَّذِي غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَمَعَ ذَلِكَ يَتَحَرَّى نَفْحَاتِ الْخَيْرِ.

فالعاقل هو الَّذِي يَسْتَثْمِرُ مِثْلَ هَذِهِ الْأَيَّامِ وَيَقُومُ عَلَى تَعْوِيدِ نَفْسِهِ وَإِحْمَائِهَا بِفِعْلِ الْفَرَائِضِ وَالْإِقْبَالِ وَالْإِكْتِثَارِ مِنَ النُّوَافِلِ. وَمِنَ النِّفْحَاتِ الْعَظِيمَةِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ، وَهِيَ مِنَ الْأَعْظَمِ الْغَنَائِمِ فِيهَا صَحَّ عَنْهُ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنْ جَعَلَ فِي لَيْلَةِ نِصْفِهِ فِرْصَةً لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، فَقَدْ قَالَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - وَالْحَدِيثُ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ، وَأَشَارَ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى صِحَّتِهِ - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم (٢٨٤٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، رقم (١١٥٣)، من حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه أحمد (٢٠١/٥)، والنسائي: كتاب الصيام، باب صوم النبي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بأبي هو وأمِّي، رقم (٢٣٥٧).



**لَيْلَةَ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِشُرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ»<sup>(١)</sup>.**

يُستثنى من هذه المغفرة وهذه النفحة وهذا الخير وهذه الغنائم: يُستثنى منه المُشركون وهؤلاء الذين حملوا في قلوبهم الغلّ والحقد على غيرهم. فرسالة لك أيها المبارك.. اعمل في شهر شعبان على تنظيف قلبك مما شحن به من الأحقاد، فإنه فرصة، وليكن شهر شعبان هو القنطرة التي تُصفي فيها هذه القلوب قبل دخول رمضان، ففي رواية أخرى عند البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي ثعلبة الخشني **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وأيضاً أشار الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** إلى صحة هذا الحديث، فقال فيه: **«فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ - أي: في هذه الليلة - وَيُمْلِي لِلْكَافِرِينَ، وَيَدْعُ أَهْلَ الْحَقْدِ بِحَقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ»<sup>(٢)</sup>.**

فرصة في شهر شعبان! يا من بينك شيءٌ وبين إخوانك وأخواتك وأقاربك وجيرانك فصلح هذه الأمور، خاصة بين الأرحام، وتذكر أن النبي **ﷺ** قال: **«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ»<sup>(٣)</sup>**، فما أعظم هذا الحديث! وما أشد وقعه علينا! فرصة في شهر شعبان أن تصلح من هذه الأمور، بل في أول النصف منه؛ لأن في ليلة النصف يطلع الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** فيغفر لجميع خلقه إلا لمشركٍ أو مشاحنٍ.



- (١) أخرجه ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان، رقم (١٣٩٠)، من حديث أبي موسى الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وانظر: السلسلة الصحيحة رقم (١١٤٤، ١٥٦٣).
- (٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٢٢٤، رقم ٥٩٣)، والبيهقي في الشعب رقم (٣٥٥١)، وانظر: السلسلة الصحيحة رقم (١١٤٤).
- (٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب إثم القاطع، رقم (٥٩٨٤)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٦)، من حديث جبير بن مطعم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



(١٦)

## صِيَامُ الْجَوَارِحِ مَفْهُومٌ آخِرٌ لِلصِّيَامِ •• k ••

ليس الصيام إمساكاً عن الشراب والطعام وغيرها من المفطرات فحسب، إنما الصيام له مفهوم آخر، وهو صيام الجوارح، وهو الذي أرادَه اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى منّا، أن نُمسك عن الشراب والطعام وهو حلال؛ لتتربى هذه النفوس على صيام الجوارح وهو الأهم.

فليست العبرة أن تستعد لصيام الشهر فتُمسك عن الطعام والشراب وعن أن تأتي أهلك في نهار رمضان، وإنما هناك مفهوم أبعد من ذلك، وهو أن تصوم هذه الجوارح عن معصية الله، وهذا هو الذي أرادَه اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فقد جاء في مُصَنَّفِ ابنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَلِسَانَكَ عَنِ الْكُذْبِ وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَدَى الْخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَصَوْمِكَ سَوَاءً»<sup>(١)</sup>.  
هذا الذي يريدُه اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ليس التوقُّف عن الطعام والشراب فحسب!

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (١٣٠٨)، وابن أبي شيبة في المصنف رقم (٨٩٧٣)، والبيهقي في الشعب رقم (٣٣٧٤).

وهذا المفهوم أيضاً قاله زين العابدين - رضي الله تعالى عنه وعن أبيه وعن جدّه - حينما قال: «فأما حقُّ الصومِ فأنَّ تعلمَ أنَّه حجابٌ ضربَه اللهُ على لسانِكَ وسمعِكَ وبصركِ وفرجِكَ وبطنِكَ؛ ليستركَ به من النارِ»<sup>(١)</sup>.

هذا هو الصيام، فحريٌّ بالعبد أن يُهيئَ نفسه لذلك، وقد أكَّد الإمام ابنُ الجوزي **رَحْمَةُ اللهِ** على ذاتِ المفهومِ فقالَ **رَحْمَةُ اللهِ**: «ما من جارحةٍ في بدنِ الإنسانِ إلاَّ ويلزُمُه الصيامُ في رمضانَ وفي غيرِ رمضانَ، فصومُ اللسانِ تركُ الكلامِ إلاَّ في ذكرِ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وصومُ السمعِ تركُ الإصغاءِ إلى الباطلِ وإلى ما لا يحلُّ سماعُه، وصيامُ العينينِ تركُ النظرِ والغصُّ عمَّا حرمَ اللهُ تعالى»<sup>(٢)</sup>.

هذه المفاهيمُ هي التي أرادها اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فحينما نتهيأُ لاستقبالِ شهرِ رمضانَ مُهيئاً أنفسنا أننا نُقبلُ على دورةٍ علميةٍ نتربّي فيها على صيامِ الجوارحِ، وهي التي أرادها اللهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، ومن هنا نطلقُ إلى سيّد الخلقِ رسولِ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي أخذَ هؤلاء المتقدِّمون عنه ما ذكَّرتُ.

فهاهو رسولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يؤكِّدُ هذا المفهومَ، فيقولُ فيما يتعلَّقُ بصيامِ اللسانِ، والحديثُ عندَ الحاكمِ في مُستدرِّكه من حديثِ أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «لَيْسَ الصَّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصَّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَكَ أَحَدٌ أَوْ جَهَلَ عَلَيْكَ، فَلْتَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رسالة الحقوق لعلّي زين العابدين (ص: ٢٠).

(٢) بستان الواعظين (ص: ٢١٧).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه رقم (١٩٩٦)، وابن حبان في صحيحه رقم (٣٤٧٩)، والحاكم في المستدرک (١/٤٣٠).

فُتْرِبِي أَنْ تُمْسِكَ هَذَا اللِّسَانَ فِي رَمَضَانَ وَفِي غَيْرِ رَمَضَانَ، تُمَسِّكُهُ عَنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَعَنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ عَنِ الْكُذْبِ، وَعَنِ الْغَيْبَةِ، وَعَنِ النَّمِيمَةِ، وَعَنْ قَوْلِ الْبَاطِلِ، وَعَنْ شَهَادَةِ الزُّورِ، وَلَا تَتَكَلَّمُ بِهِ؛ لِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «الْغَيْبَةُ تَحْرِقُ الصِّيَامَ، وَالِاسْتِغْفَارُ يَرْقَعُهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَأْتِيَ بِصَوْمٍ مَخْرُقٍ فَافْعَلْ»<sup>(١)</sup>.

وَكُلُّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ هِيَ مَكْتُوبَةٌ كَمَا قَالَ الْحَقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** [ق: ١٨]، وَقَالَ الْحَقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾** [الزخرف: ٨٠].

فَتَعَلَّمْ قَبْلَ رَمَضَانَ وَفِي رَمَضَانَ وَبَعْدَهُ أَنْ تَجْعَلَ هَذَا اللِّسَانَ يَصُومُ؛ لِأَنَّ الْعِبْرَةَ مِنَ الصِّيَامِ أَنْ يَصُومَ هَذَا اللِّسَانَ، وَكَمَا أَنَّكَ مُطَالِبٌ أَنْ لَا تَقُولَ الْبَاطِلَ، وَأَنْ تَكُونَ وَرِعًا فِي هَذَا الْجَانِبِ، وَأَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ الْقُدْرَةُ عَلَى أَنْ يَصُومَ لِسَانُكَ، فَأَنْتَ كَذَلِكَ مُطَالِبٌ أَنْ تَصُومَ أُذُنُكَ عَنْ سَمَاعِ الْبَاطِلِ.

فَكَمَا أَنَّكَ لَا تَقُولُ الْبَاطِلَ فَكَذَلِكَ لَا تَسْمَعُ الْبَاطِلَ، فَإِذَا جَلَسَ مَعَكَ مَنْ يَقُولُ الْبَاطِلَ فَإِمَّا أَنْ تَقُومَ وَإِمَّا أَنْ تُسَكِّتَهُ، حَتَّى لَا يَقُولَ الْبَاطِلَ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ صِيَامُ السَّمْعِ، قَالَ الْحَقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾** [الإسراء: ٣٦].

وَوَصَفَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الْفِتْيَةَ الصَّالِحَةَ فَقَالَ: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾** [القصص: ٥٥].

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/١٣٩)، ولطائف المعارف (ص: ٢١٤) ونسبه لأبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فإذا لم يُعرضوا يكونونَ سِوَاءً، قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]؛ لذا على العاقلِ أَنْ يَرُدَّ الْبَاطِلَ، وَإِمَّا أَنْ يَرُدَّ نَفْسَهُ عَنِ مَوَاقِعِ الْبَاطِلِ.

وَسَمِعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيحِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ  
فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ الْقَبِيحِ شَرِيكَ لِقَائِلِهِ فَانْتَبِهْ<sup>(١)</sup>

بل إنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ مِنَّا مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، أَرَادَ مِنَّا أَنْ نَرُدَّ عَنِ أَعْرَاضِ الْآخَرِينَ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنِ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.  
فَقَدْ تَتَكَلَّمُ بِحَضْرَتِكَ زَوْجَتُكَ فِي حَقِّ وَالِدَتِكَ، أَوْ تَتَكَلَّمُ فِي حَقِّ إِحْدَى أَخَوَاتِكَ، أَوْ قَدْ تَتَكَلَّمُ وَالِدَتُكَ فِي حَقِّ زَوْجَتِكَ، فَارْتَدَّ الْجَمِيعُ عَنِ الْبَاطِلِ.

كَذَلِكَ يُرَبِّينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَوْمٍ ثَالِثٍ وَهُوَ صَوْمُ الْعَيْنِ، وَصِيَامُهَا الْغَضُّ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَلِكَ أَرَادَ اللَّهُ بِمَنْ صَبَأَ حَيْرًا بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ «التَّبَصُّرَةِ» عَنِ شَابِّ نَشَأً فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَحِفْظِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ، قَالَ: «فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ وَأَنَا أَقِفُ مَعَ شَيْخِي نَظَرْتُ إِلَى الْحَرَامِ نَظَرَ الْمَسْتَمِيعِ الْمَتَلَذِّذِ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ شَيْخِي قَائِلًا: يَا بُنَيَّ لَتَجِدَنَّ غَبَّهَا وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ. فَقَالَ: فَبَقِيْتُ

(١) البيتان للحسين بن محمد أبي علي السهواجي، انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٣/ ١١٥٠).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٥٠)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم،

رقم (١٩٣١)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عشرين سنة أراعي ذلك الغب. قال: فتمت ليلة وأنا أتفكر فيه، فأصبحت وقد أنسيت القرآن كله»<sup>(١)</sup>. فصيام العين أن تغض الطرف والنظر عن كل حرام. وهناك صيام رابع: وهو صيام البطن، وهو ألا يدخل فيه حرام، وخاصة في هذه الأزمنة المتأخرة، التي قال رسول الله ﷺ عنها: «يأتي على الناس زمان، لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام؟»<sup>(٢)</sup>.

فقد تشبه الأمور، ورُبما يغيب الوازع، ورُبما يضعف الدين، ورُبما تشتد الحاجة، فيأتي على الناس زمان لا يبالي المرء فيما أخذ المال من الحلال أم من الحرام! فتمتد يده فلا يكون قد صام بطنه عن الحرام؛ لذا جاء في قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتِنَا ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقد يقوم الإنسان على مال يتيم، أو يكون الأخ الكبير هو المتولي على إرث إخوانه وأخواته، فيأكل الباطل دوتهم، وهو إنما يأكل في بطنه نارًا، وهذا لم يفقهه الصيام على حقيقته.

وفي كتاب «الكبائر» للإمام الذهبي رحمه الله قال وهب بن الورد رحمه الله: «لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما تدخل في بطنك حلال أم حرام»<sup>(٣)</sup>.

لذا جاء في «مسند الإمام أحمد» من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال

(١) التبصرة لابن الجوزي (١/١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب من لم يبال من حيث كسب المال، رقم (٢٠٥٩)، من حديث

أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الكبائر (ص: ١١٩ - ١٢٠).

رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا جَسَدٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتِ فَالنَّارِ أَوْلَى بِهِ»<sup>(١)</sup>.

يَبْقَى سؤال.. كيف أروّض هذه الجوارح أن تكون طائعة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟  
الجواب: يكون ذلك بوسائل، أذكرُ منها وسيلة واحدة، وهي أن تعلم أن هذه الجوارح التي تقوم على تدليلها وغمسها في اللذّة، ستشهد لنا أو علينا يوم القيامة.

فالعاقِلُ مَنْ يتعامل مع هذه الجوارح بأن يجعلها طائعة لله؛ لأنّها من نعم الله؛ لذا لما قام النبي ﷺ يصلي وأطال الصلاة، حتّى تَفَطَّرَتْ قَدَمَاهُ وَخَرَجَتْ مِنْهَا الدَّمَاءُ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، كَيْفَ تَصْنَعُ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا!»<sup>(٢)</sup>؛ متعني الله بهذه الجوارح فجعلتها في طاعة الله، وإلا فلنتذكّر قول الحقّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠].

ولنتذكّر قول الحقّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

فالعاقِلُ مَنْ يَتَرَبَّى على هذا الشهر المبارك، فيُرَبِّي نفسه ويروّض جوارحه أن تكون صائمة طائعة قائمة على حدود الله.



(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، رقم (٢٨٢٠)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

K

K

(١٧)

## لَمَنْ تَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ؟

•• k ••

إِنَّ مِنَ الْبَشَائِرِ الَّتِي يَفْرَحُ بِهَا الْمُؤْمِنُ وَهُوَ يُطَالِعُ أَحَادِيثَ الصِّيَامِ، وَأَحَادِيثَ اسْتِقْبَالِ شَهْرِ رَمَضَانَ مَا صَحَّ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتَّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغَلَّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلِسَلَتِ الشَّيَاطِينُ»<sup>(١)</sup>.

فالعبدُ المسلمُ يفرحُ بمثلِ هذه الأحاديثِ المبيِّنة لفضائلِ شهرِ رمضانَ، والفضلُ في هذا الحديثِ مُتعددٌ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَتَّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ».

وهنا سؤالٌ: هَلْ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فِي غَيْرِ رَمَضَانَ؟ وَهَلْ لِلسَّمَاءِ أَبْوَابٌ تُفْتَحُ؟ وَهَلْ هُنَاكَ أَحْوَالٌ وَأَوْقَاتٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ؟

الجوابُ: نَعَمْ، قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ...﴾ [القمر: ١١]؛

وَفِي هَذَا بَيَانٌ أَنَّ لِلسَّمَاءِ أَبْوَابًا تُفْتَحُ لِلنَّاسِ، وَتَعْلُقُ فِي وَجْهِهِ آخِرِينَ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَالَ النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فِقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ:

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان، رقم (١٨٩٩)، ومسلم:

كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، رقم (١٠٧٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



**مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَفُتِحَ لَنَا»<sup>(١)</sup>.**

ففي هذا الحديث وغيره دلالة على وجود أبواب للسماء، وهناك أحوال تُفتح فيها أبواب السماء، منها:

**الحال الأولى:** إذا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ.

قال رسول الله ﷺ في حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود الطيالسي في «مُسْنَدِهِ»: **«إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ»<sup>(٢)</sup>.**

هذه هي الغاية من بيان فتح أبواب السماء: أن الدعاء يُستجاب في هذه اللحظة.

كذلك إذا أقيمت الصلاة فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ؛ فقد جاء في «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِذَا نُوبَ بِالصَّلَاةِ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ»<sup>(٣)</sup>**، هذه الحالة الأولى، والوقت الأول.

**الحال الثانية:** في مُتَّصَفِ اللَّيْلِ.

وأغلب الناس في غفلة عن هذا الوقت، إمَّا بنومٍ أو بلهوهٍ، وتبقى القلة القليلة لا هي في نومٍ، ولا هي في لهوهٍ، ولكنها تهتبل هذه الفرصة التي قال فيها النبي ﷺ كما جاء عند الطبراني في مُعْجَمِهِ الأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم (١٦٢)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده رقم (٢٢٢٠)، والنسائي في السنن الكبرى رقم (٩٨١٧)، وأبو يعلى في المسند رقم (٤٠٧٢).

(٣) أخرجه أحمد (٣/٣٤٢).

العاصم الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيُنَادِي مُنَادٍ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيَفْرَجَ عَنْهُ؟ فَلَا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ لَهُ إِلَّا زَانِيَةً تَسْعَى بِفَرْجِهَا، أَوْ عَشَارًا»<sup>(١)</sup>.

هذه فرصٌ عظيمةٌ، وهي رسالةٌ أنّ أبوابَ السماءِ لا تُفتحُ في رمضانَ فحسبُ، بل في كلِّ ساعةٍ، وفي كلِّ ليلةٍ، والفرصةُ بينَ يديك.

الحالُ الثالثُ: ما جاء في مُسندِ الإمامِ أحمدَ من حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقُولُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»<sup>(٢)</sup>؛ فانظرُ إلى هذا الخيرِ المتدفقِ العميمِ، فإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُريدُ بنا الخيرَ.

الحالُ الرابعُ: وهي من أعظمِ الأحوالِ، وهي في مُتناولِ يدك، فقد لا تدركُ الاثنيَّ والخميسَ، أو لا تُدركُ مُنتصفَ الليلِ، ولكنَّ هذا الأمرَ في يدك، إذا فعلته كنتَ سببًا في فتحِ أبوابِ السماءِ لك وهو: ذكركَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال ابنُ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا والحديثُ في صحيحِ مسلمٍ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥٩/٩)، رقم (٨٣٩١)، والأوسط رقم (٢٧٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣٨٩/٢)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، رقم (٢٥٦٥).

بُكْرَةً وَأَصِيلًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنِ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ». قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمَا تَرَكَتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

بل حدث يعقوب بن عاصم رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. مُخْلِصًا بِهَا رُوحَهُ، وَوَجْهَهُ لِلَّهِ، مُصَدِّقًا لِسَانَهُ وَقَلْبُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَتَقًا حَتَّى يَنْظُرَ الرَّبُّ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَحَقَّ لِعَبْدٍ إِذَا نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ»<sup>(٢)</sup>.

فإذا أردت أن تدعو بدعوة فقدّم بين يدي دعائك: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

الحال الخامسة: جاء في مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَصَحَّحَ هَذَا الْحَدِيثَ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّجَلَّ: بِعِزَّتِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»<sup>(٣)</sup>.

إذن: أبواب السماء تُفْتَحُ فِي غَيْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِذَا فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، رقم (٦٠١).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم (٩٧٧٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤٤٥/٢)، والترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها، رقم

(٢٥٢٦)، وابن ماجه: كتاب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته، رقم (١٧٥٢).

فهي كرامةٌ لك، حينما يكونُ الفتحُ بسببِكَ، وبالمفتاحِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فإذا فُتِحَتْ فلا تُفوّتْ هذه الفرصةَ.

وإذا كانتْ أبوابُ السماءِ تُفتحُ لأناسٍ كرامةً لهم، فإنّها تُغلقُ في وجوهِ آخرين سُخْطاً عليهم، فمِنَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ تُغلقُ في وجوههم أبوابُ السماءِ: ما جاءَ في سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ عَنِ عُرْوَةَ بْنِ مَرْثَدَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ وَالٍ يُغَلِّقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْحَلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ إِلَّا أَغْلَقَ اللَّهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ خَلَّتِهِ وَحَاجَتِهِ وَمَسْكِنَتِهِ»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «وَالْحَلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ»: أي: مَنْ هُوَ فِي حَاجَةٍ وَفَقْرٍ، وَعُوزٍ، وَحَاجَتُهُ عِنْدَ هَذَا الْوَالِي أَوْ الْمَسْئُولِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا يَتَطَلَّبُ مِنْهُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ دُونَ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ وَيَقْضِي حَاجَتَهُ، سِوَاءٌ كَانَ مَوْظِعًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا.

فكَلِمًا أَغْلَقْتَ بَابَكَ دُونَ ذَوِي الْحَاجَاتِ، أَغْلَقَ اللَّهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ حَاجَتِكَ، وَكَلِمًا فَتَحْتَ هَذِهِ الْأَبْوَابَ فَتَحْتَ لَكَ أَبْوَابَ السَّمَاءِ عِنْدَ حَاجَتِكَ وَخَلَّتِكَ وَمَسْكِنَتِكَ.

فَالْعَاقِلُ وَالرَّاشِدُ مَنْ اسْتَثْمَرَ فَتَحَ هَذِهِ الْأَبْوَابِ، فَفَتَحَهَا عَلَى نَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تُفْتَحَ عَلَيْهِ دُنْيَا وَآخِرَةٌ.



(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٣١)، والترمذي: كتاب الأحكام، باب ما جاء في إمام الرعية، رقم (١٣٣٢).



(١٨)

## هُمَا طَرِيقَانِ وَمَآلَانِ وَالْخِيَارُكَ (١)

•• k ••

خَلَقَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعِبَادَ لِعِبَادَتِهِ، فَأَرْسَلَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الرَّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَبَانَ الطَّرِيقَ، فَاَنْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى فَرِيقَيْنِ:

- فَرِيقٌ اخْتَارَ طَرِيقَ الْإِسْتِقَامَةِ، فَاسْتَقَامَ عَلَى شَرِيعَةِ اللهِ، فَكَانَ مَأْلَهُ الْجَنَّةَ.
- وَفَرِيقٌ اخْتَارَ طَرِيقَ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ فَطَغَى، وَاسْتَكْبَرَ، وَبَغَى، فَكَانَ مَأْلَهُ النَّارَ.

هُمَا طَرِيقَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَآلَانِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْخِيَارُ بِيَدِكَ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧-٤١]. هُمَا فَرِيقَانِ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وَهُمَا مَآلَانِ: قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٤٣﴾﴾ [ص: ٢٨].

هُمَا فَرِيقَانِ، وَمَآلَانِ فِي الْآخِرَةِ.

قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ

كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ [يونس: ٤].  
 وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ [الجاثية: ٢١]، هما طريقان.  
 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ [الملك: ٢٢]، هما طريقان.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ [البلد: ١٠]: نجد الخير، ونجد الشر،  
 والخيار بيدك تختار أي الطريقين.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ [الإنسان: ٢-٣].

فهاهما طريقان والخيار بيدك، ولا يمكن أن يستوي المأل في الآخرة لمن يصلي بمن لا يصلي، ولا من يزكي بمن يمنع زكاته، ولا عفيف اللسان، شريف الخطى بغيره من أهل السوء، ولا من يصوم شهر رمضان عما أحل الله له بمن يفطر في نهار رمضان، لا يمكن أن يستويا.

وهذه مشاهد ورحلة طويلة تبيّن أن مأل الصالحين يختلف عن مأل أهل السوء الظالمين لأنفسهم، وهي محطات: عند نزول الملائكة لتقبض الروح، وحينما تُحمّل الجنائز على الأعناق، وفي القبر، والبعث والنشور، والحشر، وتطير الصحف، وفي الجنة أو النار.

تبدأ آخرتنا عندما تخرج هذه الروح، وهي تخرج على وفق ما قدمت في الدنيا، فصلاّتك وصيامك وصلحك كل ذلك ينفَعك هناك، والملائكة تنزل على

أهلِ الصَّلاحِ وهي تُبشِّرُهُم بِالْجَنَّةِ، قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢).

فالملائكة تنزل على هذا الميت الذي نبكي عليه، هو يراها، وهي تبشّره، تقول له: السّلام عليك، أبشّر بالجنة التي كنت تُوعِدُ بما كنت تعمل.

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (نحْنُ أُولِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ) (٣١) نَزَّلًا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿[فصلت: ٣٠-٣٢].

وقد وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نزول ملائكة العذاب على أهلِ السوء فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْتَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿[الأنفال: ٥٠-٥١].

فخيارك هذا سترى ماله في أول لحظة، فالملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، ولا يبشرونهم بالجنة، بل يبشرونهم بالنار.

فلا يمكن أن يستوي عفيف اليد الذي حصن نفسه من الحرام بمن ترك لنفسه الزمام تأكل في الحلال وفي الحرام، المأل هناك يختلف.

مشهد آخر: الملائكة عندما تنزل على أهل الصّلاح والإيمان فإنما تنزل بوجوه في غاية الحسن والجمال، قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ

**وَجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِّنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِّنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.**  
 فهذه صورة في غاية الحسن والجمال: وجوههم بيض كأنتها الشمس، جاؤوا  
 بأكفانٍ لا نراها، وهي أكفانٌ من الجنة قُطعت من الجنة، و جاؤوا بهذا الحنوط  
 الذي هو من حنوط الجنة.

لكِنَّكَ إِذَا شَاهَدْتَ الصُّورَةَ الْمُقَابِلَةَ، يَقُولُ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: **«وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ  
 إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودٌ  
 الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ»**: هذه الأكفان التي معهم نسيجٌ مقطوعٌ من النار، تُلَفُّ فيه  
 هذه النفس الخبيثة.

فحينما يتخلف الرجل عن الصلاة ويتركها، فإنه يختار لنفسه المشاهد  
 السيئة، وحينما تختار طريق الصلاح فإنك تختار لنفسك المشاهد الحسنة.

مَشْهُدٌ ثَالِثٌ: أَنَّ هَذِهِ الْمَلَائِكَةَ أَعْدَادُهَا غَفِيرَةٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَجْلِسُونَ عِنْدَ  
 رَأْسِهِ مَدَّ الْبَصَرِ»** تنزل كلها بمعية ملك الموت، يحفونه من كل جانب، فتأتي  
 تُخَاطَبُ هَذِهِ النَّفْسَ الْمُؤْمِنَةَ.

وَقَدْ جَاءَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهَ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
 ﷺ: **«إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا قَالُوا: أَخْرُجِي أَبْتَهَا النَّفْسُ  
 الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، أَخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبِّ غَيْرِ  
 غَضْبَانَ»**؛ فنحن نراه مُسَجَّى بين أيدينا لكننا لا نسمع ما يدور بينه وبين الملائكة  
 من هذا الحوار.

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وفي المشهد المقابل يقول النبي ﷺ: «وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ، قَالُوا: أَخْرَجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الْحَيِّنَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْحَبِيثِ، أَخْرَجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ» أي: الماء المغلي «وَعَسَاقٍ» أي: ما يخرج من صديد أهل النار، «وَأَخْرَجِي مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَاجٍ»<sup>(١)</sup>.

ونحن إذا حملنا هذه الجنائز، فلا تتصور أنها إلى مآل واحد، بل هو مآل مختلف، فقد جاء في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا وُضِعَتِ الْجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدُّمُونِي، قَدُّمُونِي. وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ»<sup>(٢)</sup>.  
فالعاقلة من تدارك الأمر قبل انقضائه، وشد المتزر عما حرم الله، وسار على الخُطَى فإن الأوقات أسرع.



(١) أخرجه أحمد (٣٦٤ / ٢)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم (٤٢٦٢).  
(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب كلام الميت على الجنائز، رقم (١٣٨٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

K

K

(١٩)

## هُمَا طَرِيقَانِ وَمَالَانِ وَالْخِيَارُ لَكَ (٢)

•• k ••

تَحَدَّثْنَا فِيهَا مَضَى عَنِ مَالِ الْإِنْسَانِ فِي آخِرَتِهِ، وَأَنَّ هَذَا الْمَالَ مُتَوَقَّفٌ عَلَى  
 اخْتِيَارِهِ أَيَّ الطَّرِيقَيْنِ، وَبَيْنَا أَنَّ النَّاسَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَنْقَسِمُونَ إِلَى قِسْمَيْنِ،  
 وَيَتَّجِهُونَ إِلَى طَرِيقَيْنِ، وَالْمَالُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى طَرِيقَيْنِ وَنَتِيجَتَيْنِ.  
 وَبَدَأْنَا رِحْلَتَنَا فِي بَيَانِ هَذَا الْمَالِ، وَبَيْنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ تَبَدُّأً آخِرْتُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ،  
 وَحِينَمَا تَنْزَلُ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ لِقَبْضِ الرُّوحِ، وَبَيْنَا مَالَهُ كَيْفَ يَكُونُ، وَمَالَهُ وَهُوَ عَلَى  
 أَعْنَاقِ الْأَحْيَاءِ يَمْشُونَ بِهِ إِلَى قَبْرِهِ.

وَتَتَوَاصَلُ هَذِهِ الرِّحْلَةُ لِنُبَيِّنَ كَيْفَ أَنَّ الْمَالَ مُخْتَلَفٌ فِي الْقَبْرِ، وَحِينَمَا يَنْشَقُّ عَنْهُ  
 قَبْرُهُ، وَحِينَمَا يَسِيرُ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ، وَفِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ، كُلُّ ذَلِكَ مُخْتَلَفٌ؛ فَنَحْنُ  
 فِي دَارِ الْإِمَهَالِ يُخْبِرُ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْعَبْدِ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، إِنْ كَانَ صَالِحًا تَقِيًّا  
 طَائِعًا لِلَّهِ، قَالَ ﷺ: «فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي  
 اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي  
 بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ  
 كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ. فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ  
 مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا،

وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ»<sup>(١)</sup>، فهو قبرٌ لا نراه ولا نعلم ما فيه إلا بما أخبر به النبي ﷺ، ثم يأتي التصديق من السماء: «صَدَقَ عَبْدِي أَفْرَشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبُسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، يَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ».

وقبرٌ آخرٌ مجاورٌ ولكن صاحبُه شقيٌّ، فلم يكن من المصلين، وكان يمرُّ عليه الحولُ تلو الحولِ تلو الحولِ ولا يُخرجُ زكاةَ مالِه، صاحبُه عاصٍ، أو من أهل الكُفْرِ، قال النبي ﷺ عن هذا القبرِ المجاورِ لهذا القبرِ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ» كان يدري، بيته وبيتُ الآخرِ بجوار المسجدِ، صلَّى الآخرُ وهو لم يصلِّ، خزانته مملأى كالآخرِ، زكى الآخرُ وهو لم يزكِّ، وهو كان في حاجةٍ، والآخرُ كان في حاجةٍ فعفَّت يدُ الآخرِ ولم تعفَّ يده فسرق «فأفرشوا له من النارِ، وافتحوا له بابًا إلى النارِ، فيأتيه من حرِّها وسُمومِها ويضيقُ عليه قبرُهُ حتَّى تختلفَ فيه أضلَاعُهُ».

فهاهما قبرانِ متجاورانِ لكنَّ المآلَ مختلفٌ.

ويبيدك الآن أن تُحدِّدَ المآلَ الذي تُريده أنت، فإذا انشقت هذه القبورُ عن أصحابها كان المآلُ مختلفًا، فهذا الصالحُ التقى الذي كان القرآنُ قائده في الدنيا، فإذا به يكونُ له قائدًا حينما ينشقُّ عنه قبرُهُ، هذا هو الذي أخبر به النبي ﷺ، فقد

(١) أخرجه أحمد (٤ / ٢٨٧)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم

(٤٧٥٣)، من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جاء في حديث عبد الله بن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد قال رسول الله ﷺ: «وإنَّ القرآنَ يلقى صاحبه يومَ القيامةِ حينَ ينشقُّ عنه قبرُهُ كالرجلِ الشاحبِ، فيقولُ له: هلْ تعرِّفني؟ فيقولُ: ما أعرفُك. فيقولُ: أنا صاحبك القرآنُ الذي أظمأتك في الهواجِرِ، وأسهرتُ ليلك، وإنَّ كلَّ تاجرٍ من وراءِ تجارتهِ، وإنك اليومَ من وراءِ كلِّ تجارةٍ. فيعطى الملكَ بيمينه والخلدَ بشماله، ويوضعُ على رأسه تاجُ الوقارِ، ويكسى والداهُ حلتينِ لا يقومُ لهما أهلُ الدنيا، فيقولانِ: بِمِ كُسينا هذا؟ فيقالُ: بأخذِ ولدكما القرآنِ»<sup>(١)</sup>.

فيبدأ الناسُ بالخروجِ من الأجداثِ، ويستمرُّون في هذه الرحلةِ، كلُّ القبورِ تنشقُّ، ويخرجُ الناسُ من قبورهم يتجهون إلى أرضٍ واحدةٍ هي أرضُ المحشرِ، لكنْ هؤلاءِ يُحشرون في صورةٍ والأشقياءُ يُحشرون في صورةٍ مختلفةٍ. أمَّا الأتقياءُ: فحشرهم أخبرَ عنه الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾<sup>(٨٥)</sup> [مريم: ٨٥].

قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿وَفْدًا﴾ أي: رُكبانا»<sup>(٢)</sup>، لا يُحشرون على أرجلهم، وإنما يُحشرون رُكبانا كرامةً لهم ولما قدَّموا. وفي «تفسيرِ البغويِّ»: قال الخليفةُ الراشدُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما يُحشرون واللهِ على أرجلهم، ولكنْ يُحشرون على نوقٍ رحالها الذهبُ، ونجائبُ

(١) أخرجه أحمد (٣٤٨/٥)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب ثواب القرآن، رقم (٣٧٨١).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (٦٣٠/١٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٣٨/٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت، وإن هموا بها طارت»<sup>(١)</sup>، هذا حال الأتقياء وهم يحشرون.

أما العصاة الكفرة فحشرهم كما أخبر عنه الحق سبحانه وتعالى في مواضع من كتابه الكريم:

ففي سورة (طه) قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾<sup>(١٢٤)</sup> قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيكَ ﴿طه: ١٢٤-١٢٦﴾.

وفي سورة الإسراء قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًىٰ وَيَكْمَأُؤَسِمًا مَّا وَوَلَّهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وجاء في صحيح البخاري: أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ فقال ﷺ: «أليس الذي أمشاه على الرجلين قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟»، قال قتادة: بلى، وعزة ربنا<sup>(٢)</sup>.

فإذا وصلوا إلى أرض المحشر وقف الجميع ينتظر فصل القضاء، ويحكم لفريق بالجنة، وفريق إلى النار، فكيف يكون الوقوف والشمس قد أدنيت من رؤوس الخلائق؟ أما أهل الطاعة، وأهل الصلاح فإنهم لا يضربهم هذا الأمر؛ لأنهم في ظل ما قدموا من أعمالهم.

(١) أخرجه أحمد (١/١٥٥)، وانظر: تفسير البغوي (٣/٢٥١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾، رقم

(٤٧٦٠)، ومسلم: كتاب صفات المنافقين، باب يحشر الكافر على وجهه، رقم (٢٨٠٦)، من

حديث أنس رضي الله عنه.

وفي حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ في الحديث المشهور حديث البخاري ومسلم: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالشَّابُّ الَّذِي نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالرَّجُلُ الْمُعَلَّقُ قَلْبُهُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا عَنْ شِيعَتِهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

وغير ذلك من الصالحات. هم في الظل، ويُشاهدون من تصهرهم الشمس من الأشقياء؛ لأنَّ الفريق الآخر أخبر عنه النبي ﷺ فقال في حديث المقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد في «مسنده»: «فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عَقْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إِيَّامًا»<sup>(٣)</sup>.

وما كنتُ مُعدِّداً ومصوراً هذه الرحلة لتزيدَ عندنا المعلومة والمعرفة، إنَّما قصدتُ تذكراً أنفسنا ونحنُ في دارِ الإمهالِ أنَّ خيارَكَ لِمَالِكَ يبدأُ من هُنا، فشدَّ المتزرَ، وحددْ وجهتَكَ؛ فإنَّ مَالِكَ مَا أَنْتَ تَصْنَعُهُ.

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم (٦٦٠)، ومسلم:

كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٦)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، رقم

(٢٤٢١).

ولعلَّ سائلاً يتساءل: وصلَ الناسُ إلى أرضِ المحشرِ فريقٌ في ظلٍّ، وفريقٌ يُصهرون من الشمسِ، فكَم بقاؤهم على هذا الحالِ؟

أقول: أجابَ النبي ﷺ عن ذلك، وبيَّن لنا أنَّ الناسَ في هذه المرحلةِ أيضاً ينقسمون إلى قسمين، وبيدك اليومَ أن تُحدِّدَ هذا القسمَ الذي تريدُ.

فقد قالَ رسولُ اللهِ ﷺ في حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندَ الحاكمِ في «مُسْتَدْرَكِهِ»: «يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ»<sup>(١)</sup>.

أمَّا على الأشقياءِ فقدَ أخبرَ النبي ﷺ كما في «صحيحِ ابنِ حبانَ» من حديثِ ابنِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قرأَ الآيةَ مِنْ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] فقالَ: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ يَتَغَيَّبُ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

فالفريقُ الأولُ يمرُّ عليه هذا اليومُ كما هوَ بينَ الظهرِ والعصرِ، والآخرُ يمرُّ عليه هذا اليومُ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ.



(١) المستدرک (١/ ٨٤).

(٢) صحيح ابن حبان رقم (٧٣٣١). وأخرجه بنحوه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، رقم (٤٩٣٨)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة يوم القيامة، رقم (٢٨٦٢).



(٢٠)

## هُمَا طَرِيقَانِ وَمَا لَانَ وَالْخِيَارُ لَكَ (٣)

•• k ••

يتواصل الحديثُ في بيانِ رحلة التمايزِ في دارِ الآخرةِ بحسبِ ما قدمَ ابنُ آدمَ في حياته الدنيا، فكما تقدمَ هُما فَرِيقَانِ وطَرِيقَانِ وَمَا لَانَ فِي الْآخِرَةِ، وَقَفْنَا فِيهَا مَضَى فِي أَرْضِ الْمُحْشَرِ وَكَيْفَ أَنَّ النَّاسَ يَتَمَايِزُونَ؛ فَرِيقٌ فِي نَعِيمٍ دَائِمٍ، وَفَرِيقٌ فِي الْجَحِيمِ.

ثُمَّ تَبْدَأُ رِحْلَةً أُخْرَى تَنْطَلِقُ مِنْ أَرْضِ الْمُحْشَرِ، وَهِيَ اسْتِلَامُ الْكُتُبِ، وَالنَّاسُ فِيهَا يَتَمَايِزُونَ.

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِرَبِّهِ طَائِفَةٌ ۖ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۝١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ ۗ وَزُرْ أُخْرَى ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ [الإسراء: ١٣-١٥].

وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ التَّكْوِينِ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۗ﴾ [التكوير: ١٠].  
فِيَنْطَلِقُ الْإِنْسَانُ إِلَى كِتَابِهِ لَيْسَ بِاخْتِيَارِهِ وَإِنَّمَا بِعَمَلِهِ الَّذِي اخْتَارَهُ فِي الدُّنْيَا، وَتَكُونُ حَرَكَتُهُ فِي الْآخِرَةِ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

مَثَلٌ وَفُوفَكَ يَوْمَ الْعَرْضِ عُرْيَانًا      مُسْتَوْحِشًا قَلِقَ الْأَحْشَاءِ حَيْرَانًا



النَّارُ تَلْهَبُ مِنْ غَيْظٍ، وَمِنْ حَنْقٍ عَلَى الْعُصَاةِ وَرَبِّ الْعَرْشِ غَضَبَانَا  
 اقْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْدِي عَلَى مَهَلٍ فَهَلْ تَرَى فِيهِ حَرْفًا غَيْرَ مَا كَانَا<sup>(١)</sup>

فغير ما قدّمنا لن نجد، وإنما سنجد ما قدّمنا في هذه الكتب.

وقال الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَيضًا فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ، فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا  
 ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧١-٧٢].

فيتمايزُ الناسُ في محطة استلامِ الكتبِ كما يستلمُ أبناؤنا شهاداتِ التخرجِ وشهاداتِ النجاحِ، فالَّذي علِمَ بنجاحه يذهبُ وهو مسرورٌ، ورأسه مُرتفعٌ، ويدعو أهله وزملاءه وخلائقه ليشهدوا حفلَ التخرجِ؛ لأنّه جاءَ بعملٍ يرفعُ رأسه. ويبيِّنُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَنَا هَذِهِ الْحَالَةَ وَهَذَا الْجَمْعَ الْكَبِيرَ الَّذِي يُشْبِهُ حِفْلَ التَّخْرِجِ، فيقولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ، فيقولُ هَؤُمَّ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ﴾ يريدُ أن يراهُ الناسُ كلُّهم، ويصوِّرَ ويوضِّعَ في الصحفِ؛ ليعلمَ الناسُ كلُّهم بنجاحه، ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ﴾ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤]؛ فالَّذي قدَّمتموه ترونه اليومَ.

وفي المقابل نجدُ الفريقَ الَّذي لم يُقدِّم في دنياه، وأعرض وقال: غداً غداً، قال اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ، بِشِمَالِهِ، فيقولُ يَلَيِّنِي لَمْ أُوْتِ كِتَابِيَةَ﴾ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (ص: ٦٢٠)، غير منسوب.

﴿٢٦﴾ يَلْتَمِسُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَعْنَى عَنِ مَالِيَةٍ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِ سُلْطَانِيَةٍ ﴿[الحاقة: ٢٥-٢٩]﴾.

فهذا فريق، وذاك فريق، ونحن ندرک تماماً ونؤمن أن الناس سيتمايزون في الآخرة إلى فريقين، فأبي الصنفين تختار؟!!

فإذا أخذوا هذه الكُتُبَ جيءَ بها إلى الموازين، وهي المحطة الثانية حينما يقفُ العبادُ كلُّ عبدٍ عندَ ميزانه تُوضعُ فيها هذه الكُتُبُ.

قال الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وقال الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٤]، فهم يتمايزون عند الميزان.

وقد قال أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وهذا الأثرُ أوردَهُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره- قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِالْمِيزَانِ، فَيُؤْتِي بِابْنِ آدَمَ فَيُوقِفُ بَيْنَ كِفَّتَيْ الْمِيزَانِ، فَإِنْ ثَقُلَ مِيزَانُهُ نَادَى مَلَكٌ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقَ: سَعِدَ فُلَانٌ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا. وَإِنْ خَفَّ مِيزَانُهُ نَادَى مَلَكٌ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقَ: شَقِيَ فُلَانٌ شَقَاوَةً لَا يَسْعُدُ بَعْدَهَا أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

هَذَا الْحِفْلُ يُذَكَّرُ فِيهِ مَنْ نَجَحَ وَيُذَكَّرُ فِيهِ مَنْ رَسَبَ، لَا يُذَكَّرُ فِيهِ النَّاجِحُونَ

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٢٢٠٥)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٧٤/٦)، وانظر: تفسير القرطبي (٢٩٣/١١)، وتفسير ابن كثير (٤٩٧/٥).

فَقَطُّ، فَيُصْرَخُ بِأَعْلَى صَوْتٍ: شَقِيَّ فُلَانٌ. هَذَا الَّذِي لَمْ يَحْضُرْ حِفْلَ التَّخْرِجِ، وَتَوَارَى عَنِ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَكَأَنَّهُ مَشْغُولٌ، يُنَادَى: إِنَّ فُلَانًا شَقِيٌّ شَقَاوَةٌ لَا يَسْعُدُ بَعْدَهَا أَبَدًا.

ثُمَّ يَنْطَلِقُونَ إِلَى الْمَرْحَلَةِ الثَّلَاثَةِ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي أَرْضِ الْمُحَشَّرِ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى الصَّرَاطِ، يَنْطَلِقُونَ إِلَى حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ حَوْضٌ عَظِيمٌ جَاءَتْ فِيهِ الْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ، مِنْهَا مَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ، زَوَائِيهِ سَوَاءٌ، مَاؤُهُ أَبْيَضٌ مِنَ الثَّلَجِ، وَأَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، آيَتُهُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ» أَي: فِي عَدِيدِهَا، «مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

فِيَتَمَايَزُ النَّاسُ هُنَا أَيْضًا بِحَسَبِ مَا قَدَّمُوا فِي الدُّنْيَا، وَمَا أَذْكَرُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لِنَتَذَكَّرُ؛ فَيُصَلِّي الَّذِي لَا يُصَلِّي، وَيُقْبَلُ عَلَى اللَّهِ الْمُعْرَضُ عَنْهُ، فَالْأَعْمَارُ قَصِيرَةٌ، وَالْأَجَالُ لَا نَدْرِي مَتَى تَأْتِي!.

فِيَتَمَايَزُونَ عِنْدَ الْحَوْضِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ -: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضِ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، لَكُمْ سِيْمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَنْارِ الْوُضُوءِ»<sup>(٢)</sup>.

فِيَا أَيُّهَا الْمُتَوَضِّئُ! وَيَا أَيُّهَا الْمَصَلِّي! وَيَا أَيُّهَا الرَّكَعُ السَّاجِدُ لِلَّهِ! كُلُّ هَذَا

(١) صحيح ابن حبان رقم (٦٤٥٢)، وأخرجه أيضا البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم (٦٥٧٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، رقم (٢٢٩٢)، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة، رقم (٢٤٧).

سيكون علامة في وجهك وفي قدمك يتعرف بها عليك النبي ﷺ، لكن في الطرف الآخر يأتي ممن ينتسب إلى أمة النبي ﷺ ليشرب من هذا الحوض فيحال بينهم وبينه، كما جاء في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها، فيردون عن الحوض، ويحال بينهم وبين الحوض، والحال حال عطش وجهه وعنت، وهم يتطلعون إلى هذا الماء، فيقول رسول الله ﷺ: «رَبِّي إِنَّهُمْ مِنِّي، وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

إنها محطات النجاة فيها على قدر أعمالنا في الدنيا، فإذا فرغوا من هذه المحطة تحركت هذه الأفواج؛ لتعبر على الصراط الذي بعده ليس ثمة إلا جنة أو نار، وأعظم ما يحتاجه الإنسان في مروره على الصراط هو النور؛ لأن الصراط له ظلمة ليس كمثله ظلمة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَمُ الْيَوْمِ جَنَّتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

أما المنافقون فقال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتِنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد: ١٣-١٤]؛ أي: كنتم في الجليل نفسه، وفي الحي نفسه، فكنا نصلي ولا تصلون، ونصوم ولا تصومون، ونزكي ولا تزكون، ونحج ولا تحجون، ونحفظ فروجنا ولا تحفظون، وهذه مضيئة.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، رقم (٢٢٩٤).

وقد صَوَّرَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مشهدًا مِنْ أَعْظَمِ الْمَشَاهِدِ، إِذَا وَقَفَ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ، وَهُوَ جِسْرٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ يُعْطُونَ نُورًا عَلَى قَدْرِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْمَالٍ فَقَالَ ﷺ «فَيُعْطُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ» أَي: الَّذِي صَلَّى الْفَرَائِضَ غَيْرَ الَّذِي صَلَّى الْفَرَائِضَ وَالنَّوَافِلَ، وَالَّذِي زَكَّى غَيْرَ الَّذِي زَكَّى وَتَصَدَّقَ «قَالَ: فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يَضِيءُ مَرَّةً، وَيُطْفِئُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمَ قَدَمَهُ، وَإِذَا طَفِئَ قَامَ»<sup>(١)</sup>؛ أَي: لَا يَتَحَرَّكُ.

وهكذا يكون التمايز في الآخرة كما هو التمايز في الدنيا، ولا يظلم ربك أحدًا.



(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٣٥٨ - ٣٥٩، رقم ٩٧٦٣)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٣٧٦)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٢١)

## هُمَا طَرِيقَانِ وَمَا لَانَ وَالْخِيَارُ لَكَ (٤)

•• k ••

هاهي المحطة الأخيرة في رحلة التمايز بين أهل الإيمان وأهل العصيان، ذاك التمايز الذي قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِهِ: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾** [يس: ٥٩]، والذي أخبر به الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** حينما قال: **﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾** (٤) **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾** (٥) **﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾** (٦) **﴿فَسَتِيرُهُ لِلْيُسْرَى﴾** (٧) **﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾** (٨) **﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾** (٩) **﴿فَسَتِيرُهُ لِلْعُسْرَى﴾** [الليل: ٤-١٠].

فإما أن نسير إلى هذه الجنة العظيمة برحمة الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، ثم بهذه الأعمال التي أمرنا بها، أو يسير البعيد إلى جهنم والعياذ بالله. ويبدأ التمايز ونشاهد في سورة الزمر حينما تتحرك هذه الأفواج البشرية - ولا طريق ثالث-، إما إلى جنة أو إلى نار؛ حيث قال الله تعالى: **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** (٧١) **﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾** [الزمر: ٧١-٧٢].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْمَشْهَدِ الْآخِرِ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا**

حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ [الزمر: ٧٣-٧٤]. هذا هو التمايز.

فقبل أن يدخل أهل النار النار، يبدؤون بتذكير تلك الآيات التي ذكروا بها في الدنيا وقرؤها في كتاب ربهم، يتذكرون تلك الآية في سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نُصَلِّيَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

كذلك يتذكرو أهل الجنة تلك الآيات العظيمة في سورة الزخرف: ﴿وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ [الزخرف: ٧١-٧٢]، فيزدادون شوقاً لدخول الجنة، فيتذكرون ما قال الله سبحانه وتعالى في سورة ق: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

ويتذكرون ما أخبر به النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل في الحديث القدسي عند البخاري، يتذكرون أنهم سمعوا ذلك في خطبة الجمعة أو قرؤوه في كتاب: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»<sup>(١)</sup>، يتذكرون ذلك فيأخذهم الشوق؛ ليرؤا ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خطر على قلب بشر.

فإذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، كان هؤلاء مشاهداً، وكان

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٢٤٤)، ومسلم:

كتاب الجنة وصفة نعيمها، رقم (٢٨٢٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هؤلاء مشاهد، والمشاهد كثيرة، أذكر بعضها:

فأهل الجنة يتنعمون بما أعطاهم الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** من الطعام، فقد قال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَفَكَهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾** [الواقعة: ٢٠]، وقال **عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** [المرسلات: ٤١-٤٣]، أي: فواكه تأتيهم في كل حين ولا يمنعون عنها.

قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾** [الواقعة: ٣٢-٣٣] أي: طعامهم يصل إليهم ويُدنى منهم. وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نِزْلِيلًا﴾** [الإنسان: ١٤]، وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَحَتَّى الْجَنَّةِ دَانٍ﴾** [الرحمن: ٥٤]، هذا طعام أهل الجنة.

لكن تجد نفسك مضطراً أن ترى طعام أهل النار، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن طعامهم: **﴿الزَّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامِ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ﴾** [الدخان: ٤٣-٤٦]، وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾** [الصافات: ٦٢-٦٦].

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ كما جاء عند الترمذي، فقال: **«لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الزَّقُومِ قَطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ»** <sup>(١)</sup> هذا مشهد.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٠)، والترمذي: كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم

(٢٥٨٥)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، رقم (٤٣٢٥)، من حديث ابن عباس

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



كذلك إذا نظرت إلى شرايهم وجدت أن شراب أهل الجنة مختلف، قال الله  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسَقَّوهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ  
لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [محمد:  
١٥]، أمّا شراب أهل النار -والعياذُ بالله- فهو مختلف، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في  
سورة الأعراف: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا  
رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠].

فانظروا إلى هذه الخيرات، هؤلاء في ماء غير آسن، وفي لبن لم يتغير طعمه،  
وفي خمير لذة للشاربين، وعسل مصفى، وهؤلاء يستغيثون يطلبون الماء بعد أن  
أكلوا من الزقوم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي  
الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]. أي: إذا قرب الماء إلى وجهه  
ليشرب سقطت جلده وجهه.

وهو الذي اختار هذا الطريق، فقد قيل له: حيّ على الصلاة، حيّ على  
الفلّاح. وفي الجمعة ربّما تصل إليه أصوات الخطباء وهو نائم على فراشه، فلا  
يستوي هذا بمن جاء ليصلي، ولا يستوي الذي يخاف الله فيطيعه مع الذي يعصيه.  
فإذا سألت عن مساكنهم فمساكنهم أيضًا مختلفة، قال النبي ﷺ: «إِنَّ  
لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ حَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا لِلْمُؤْمِنِينَ فِيهَا  
أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٢٤٣)، ومسلم:  
كتاب الجنة، باب في صفة خيام الجنة، رقم (٢٨٣٨)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَمَّا مَسَاكِنُ النَّارِ فَمَسْكَنُ وَاحِدٍ ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ مَسْكَنُ الْمُتَكَبِّرِينَ الْمُتَغَطِّرِينَ الْمُتَجَبِّرِينَ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُخَشِّرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنِ جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ. تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ: طِينَةِ الْخَبَالِ»<sup>(١)</sup>.

فَلَا يَسْتَوِي هَذَا الْمَسْكَنُ بِمَنْ مَسْكَنُهُ خَيْمَةٌ مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ هَذَا عَرْضُهَا وَهَذَا طُولُهَا.

فَالْخِيَارُ بِأَيْدِينَا وَنَحْنُ فِي دَارِ الْإِمهَالِ، وَلَمْ أَذْكَرْ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَابِ التَّخْوِيفِ وَإِنَّمَا ذَكَرْتَهُ مِنْ بَابِ تَذْكِيرِ أَنْفُسِنَا أَنَّنَا فِي دَارِ الْإِمهَالِ، وَالْفُرْصَةُ مَوَاتِيَةٌ وَالرَّبُّ كَرِيمٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَمَنْ قَامَ إِلَيْهِ أَتَاهُ الرَّبُّ، وَمَنْ مَشَى إِلَيْهِ هَرَوَلَ إِلَيْهِ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَخْطُوَ إِلَى رَبِّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَخْطُوَ إِلَيْكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ، وَعَنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنزَلَةً، فَقَالَ عَنْ أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجَلُ، لَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنزَلَةً، فَأَمْرُهُ عَظِيمٌ وَخَبْرُهُ عَظِيمٌ، فَفِيهِ بَيَانٌ

(١) أخرجه أحمد (١٧٩/٢)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٩٢)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦٥٦١، ٦٥٦٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابا، رقم (٢١٣)، من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، فَقَدْ سَأَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ عَنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً وَعَنْ أَعْلَاهَا، كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَبِينًا الْجَوَابَ: «أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخْدَانَهُمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَيَقُولُ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ»<sup>(١)</sup>.

هَذَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَهُ هَذَا النِّعِيمُ الْعَظِيمُ الَّذِي أَعْظَمُ مَا فِيهِ: «لَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ».

فَالْمَغْبُونُ الْمِسْكِينُ هُوَ الَّذِي يُفْرِطُ فِي هَذَا الْخَيْرِ الْعَظِيمِ، الَّذِي يَخْتَمُّ شَهْرَ رَمَضَانَ وَهُوَ لَا زَالَ يُفَكِّرُ فِي أَنْ يَعُودَ إِلَى الذَّنْبِ وَإِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَالْمَغْبُونُ مَنْ حُرِمَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ الْعَظِيمَةَ؛ لِذَا مِسْكِينٌ هَذَا الَّذِي يَنْقُضِي عَنْهُ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ.



(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٨٩)، من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٢٢)

## وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

•• k ••

مَرَّ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ - رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، كَبِيرٌ فِي السَّنِّ، اِمْتَلَأَ قَلْبُهُ حِقْدًا وَغِيظًا وَحَسَدًا عَلَى صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ -، وَكَانَ هَذَا بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ، فَوَجَدَهُمْ قَدِ اجْتَمَعُوا فِي مَحَبَّةٍ وَوِثَامٍ وَأَلْفَةٍ، أَوْسٌ وَخَزْرَجٌ، فغَاظَهُ مَا رَأَى، كَيْفَ وَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَهَذِهِ الْقَبَائِلُ يَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا قَبْلَ سَنَوَاتٍ، وَيَنْهَشُ بَعْضُهَا بَعْضًا قَبْلَ سَنَوَاتٍ، فَمَا الَّذِي جَمَعَهُمْ عَلَى هَذَا الْاجْتِمَاعِ؟!

فَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ فِي غَيْظِهِ وَحَنَقِهِ، فَجَاءَتْهُ فِكْرَةٌ بِأَنْ أَرْسَلَ شَابًّا مِنْ شَبَابِ الْيَهُودِ، قَالَ: اذْهَبْ فَاجْلِسْ مَعَهُمْ ثُمَّ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِهِمُ الَّتِي مَضَتْ، وَحُرُوبِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ، وَبِمَنْ قُتِلَ مِنْ أَهْلِهِمْ. فَجَاءَتْ هَذِهِ الْأَدَاةُ، فَدَخَلَتْ فِي هَذَا الْمَجْتَمَعِ الْمَلْتَمِ الْمَتَمَاسِكِ، الَّذِي خَرَجَ لِلتَّوَمِنِ مِنْ فِتْنَةٍ وَجَاهِلِيَّةٍ، فَبَدَأَ يَدُسُّ فِيهِمْ هَذِهِ الشُّبَّةَ.

فَإِذَا هَذَا الْجَمْعُ الْمَجْتَمِعُ يَقُومُ بَعْضُهُ فِي وَجْهِ بَعْضٍ، وَذَكَرَهُمْ بِيَوْمِ «بُعَاثٍ» مَعْرَكَةٌ كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَكَانَتْ الْغَلْبَةُ فِيهَا لِلْأَوْسِ، فَقَالُوا: نُعِيدُهَا الْيَوْمَ. قَالُوا: السَّلَاحُ السَّلَاحُ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، فَجَاءَ مُسْرِعًا، وَهُوَ يَقُولُ:

«أَبْدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٥٥٥-٥٥٦).

تِلْكَ الْأَيَّامُ كَانَتْ أَهْتُكُمْ مُخْتَلَفَةً، فالأوسُ يَعْبُدونَ صنماً مُخْتَلَفًا عَن صَنِمِ الْخَزْرَجِ، وَلَكِنَّكُمْ الْيَوْمَ تَعْبُدُونَ إِيَّاهَا وَاحِدًا؛ فَذَكَرَهُم ﷺ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَذَكَرَهُم بِخُطُورَةِ الْإِفْتِرَاقِ، فَإِذَا بِهِمْ يَبْكُونَ وَيَعُودُونَ إِلَى رُشْدِهِمْ، وَيُعَانِقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَإِذَا بِالآيَاتِ تَنْزَلُ عَلَى شَاسِ بْنِ قَيْسِ الْيَهُودِيِّ.

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَاهِلَ الْكُذِّبِ لَمْ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَتَاهِلَ الْكُذِّبِ لَمْ تَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَعُوهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨-٩٩].

وَتَنْزَلُ الْآيَاتُ تَبَاعًا مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ مُخَاطَبُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَاهِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَاهِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إِلَىٰ أَنْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٥].

وَهَذِهِ آيَاتٌ نَحْتَاجُهَا فِي كُلِّ حِينٍ أَنْ تَتَرَدَّدَ عَلَى أَسَاعِنَا فَتَعْيِبَهَا قُلُوبُنَا. و«شَاسُ بْنُ قَيْسٍ» هَذَا الْيَهُودِيُّ هُوَ صُورَةٌ تَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَقَدْ تَخْتَلَفُ الْأَدْوَاتُ وَلَكِنَّ الْفِكْرَ وَالْمَنْهَجَ وَالْهَدَفَ عِنْدَهُمْ وَاحِدًا، إِنَّهُمْ لَا يَرْضَوْنَ بِاجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا بِالْحَادِثِهِمْ، وَلَا بِتَأْلِفِهِمْ وَمُودَتِهِمْ.

وقد كان قبلهم فرعونُ الذي قال اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِهِ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ:**  
**﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾**، أي: أحزابًا وصنوفًا مُتَفَرِّقَةً؛ لهذا  
 هَانَ عَلَيْهِ اسْتِعْبَادُهُمْ، فَقَدْ كَانَ: **﴿ يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِيءُ  
 نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾** [القصص: ٤].

وليسَ الغريبُ أنْ تَجْتَمِعَ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ كُلَّ الْغَرَابَةِ أَنْ يَتَفَرَّقُوا  
 مَعَ مَا أُعْطُوا مِنْ مُقَوِّمَاتِ الْاجْتِمَاعِ:  
**فَلِمَاذَا لَا نَجْتَمِعُ وَإِلَهُنَا وَاحِدٌ؟!**  
 قَالَ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ:** **﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ  
 الرَّحِيمُ ﴾** [البقرة: ١٦٣].

ولماذا لا نَجْتَمِعُ وَدِينُنَا وَاحِدٌ؟!

قَالَ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** **﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ  
 لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾** [المائدة: ٣]. فَقَدْ ارْتَضَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا الْإِسْلَامَ بِصَفَائِهِ وَنَقَائِهِ،  
 وَلَمْ يَرْتَضِ لَنَا تَجْمُعًا، وَلَا حِزْبًا، وَلَا تَنْظِيمًا، وَلَا جَمْعِيَّةً، فَأَنْتَ ابْنُ الْإِسْلَامِ،  
 وَانْتِمَاؤُكَ لِلْإِسْلَامِ لَا لِغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقَالَ اللهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** **﴿ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾**، أَي: فِي الْكُتُبِ الْمُنزَلَةِ  
 مِنْ قَبْلُ **﴿ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ  
 وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾** [الحج: ٧٨].

ولماذا لا نَجْتَمِعُ وَرَسُولُنَا وَاحِدٌ ﷺ؟!

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ  
 رُكْعًا سَجَدًا يَتَعَوَّنُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾** [الفتح: ٢٩].

ولماذا لا نجتمعُ وكتابتنا واحدٌ؟!

فقد بينَ اللهُ سُبحانَهُ وتعالى لنا أن عزنا وشرفنا في هذا الكتابِ، فقالَ

سُبحانَهُ وتعالى في سورة الأنبياء: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠].

قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يعني: فيه شرفكم»<sup>(١)</sup>.

وقال الحقُّ سُبحانَهُ وتعالى في سورة الزخرف: ﴿فَأَسْمَسِكَ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ بِإِنَّكَ

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴿٤٤﴾ أَي: شَرَفٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴿وَسَوْفَ

تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٤].

ولماذا لا نجتمعُ وأبونا واحدٌ؟!

وقَفَ النبيُّ ﷺ في وسطِ أيامِ التشريقِ، فقالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ

وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ،

وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَلَا قَدْ بَلَّغْتُ؟» قالوا: بَلَّغَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

ولماذا لا نجتمعُ وما من عبادةٍ نتقربُ بها إلى اللهِ إلا وهي تصبُّ في تقويةِ

اجتماعِ الكلمةِ؟!

فصَلَّاتُنَا وَاحِدَةٌ وَإِلَى قِبَلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَحُجَّتُنَا وَاحِدَةٌ وَإِلَى بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَصِيَامُنَا

نُصُومُهُ فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ وَيَتَرَاءَى كُلُّنَا هَالًا وَاحِدًا.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة رقم (١٤٩٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٥٦/١٢)، رقم (١٣٠٣٠)، والبيهقي في الشعب رقم (١٥٠٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤١١/٥)، عن أبي نضرة قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق.

ولماذا لا نجمع ونصوص الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة كلها تُرشد  
إلى ذلك؟!

قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ [الأنفال: ٤٦].  
وحتى على مستوى الأسر والبيوت قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَنزَعُوا فَتَفْشَلُوا  
وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]؛ وقد قال النبي ﷺ - كما  
جاء عند الترمذي من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ  
وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بِجَبْحَةِ الْجَنَّةِ  
فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا تفرَّق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا  
صلحوا وملكوا؛ فالجماعة رحمة، والفرقة عذاب»<sup>(٢)</sup>.

فكم نحن في حاجة إلى ترديد هذه الأصول على مسامعنا؛ لأننا نرى ونسمع  
من ينهش في جدار الأمة؛ ليجعل الضعيف أكثر ضعفاً، والمفتت أكثر تفتتاً.  
وصدق من قال:

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِي إِذَا اعْتَرَى      خَطْبٌ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا أَحَادًا  
تَأْبَى الْقِدَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكْسَرًا      وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكْسَرَتْ أَفْرَادًا<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه أحمد (١٨/١)، والترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢١٦٥)، من  
حديث ابن عمر، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مرفوعاً.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٤٢١).

(٣) اختلّف في قائلها، وهي في ديوان الطغرائي (ص: ٧١)، وفي مجالي الأدب (٢/١٤٥) لأكثم بن صيفي.



وهذه كلها مقومات لاجتماع الأمة وقوتها واتحادها، ولكن يبقى نفر من الناس لا يرضى بهذا الاجتماع، ولا بهذا الائتلاف والمودة، ويُسهم بأي أداة في يده للنخر في جدار الأمة، وهذا نراه اليوم، فقد يختلف الآباء، ويختلف الأجداد، ويختلف شيوخ القبائل. فلماذا يتصارع الأبناء؟ ولماذا هذا الإسفاف؟ وهذا التجريح؟ ولماذا البهتان والافتراء؟ إن هذا الأمر أول من يتضرر به هو قائله فإنها تأتي على الدين فتذهب.

وقد جاء في سنن الترمذي، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال النبي ﷺ:  
**«فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر؛ ولكن تحلق الدين!»** (١).

وبعضنا بما يكتب وتسطر يده يخلق دينه وهو لا يشعر؛ لأنه يساهم بصفة مباشرة، ويكون أداة وهو لا يشعر في يد شاس بن قيس يخرق بها في جدار الأمة، فأذكره بما قال الأول:

**كَبَبْتُ وَقَدْ أَيَقَنْتُ يَوْمَ كِتَابَتِي بِأَنْ يَدِي تَفْنَى وَيَبْقَى كِتَابَهَا** (٢)

وخير من هذا القول، قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ

**حَسِيبًا**﴾ [الإسراء: ١٤].

فالعبد العاقل يكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، واحذر أن تكون ممن يدعو إلى الشر، أو يمهد الطريق لأهل الشر، أو يكون أداة في يد أهل الشر.

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٤٤ - ٤٤٥)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، رقم

(٤٩١٩)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٥٠٩).

(٢) انظر: شمس العلوم لنشوان الحميري (٣/ ١٩٨٢)، غير منسوب.

K

K

(٢٣)

## احذروا الفحش والتفحش

•• k ••

في المحن والأزمات والشدائد تتساقط الأقنعة، وتزاح الستور، وتنجلي بواطن الأمور، وترى الأمور على حقيقتها، فمن كنت تراه في حال الرخاء يدعي التحضر والثقافة تراه حينها يسقط هذا القناع فاحشًا متفحشًا، عنيًا حادًا متهورًا، وترى الحليم الوديع الهادي الذي يختار ألفاظه بدقة وعناية، تراه حينها يسقط هذا القناع بذيئًا فاحشًا متفحشًا، ففي الشدائد تظهر الأمور على حقيقتها. ولذا قال الأول:

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ      وَإِنْ كَانَتْ تُغَصِّصُنِي بِرِيقِي  
وَمَا شُكْرِي لَهَا حَمْدًا وَلَكِنْ      عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي

وما نشاهد في مثل هذه الأيام في هذه الأزمة التي تعصف بخليجنا من انفلات في أخلاق الناس، وانطلاق لألسنتهم في الفحش والفواحش والبذاءة والافتراء، وكأنهم لا يحملون إرثًا ربانيًا نبويًا يرشدهم إلى محاسن الأخلاق، وكأنهم لم يقرؤوا قط قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

والفحش والتفحش هي الظاهرة التي تطفو على السطح دائمًا في الأزمات

والمحَنِ والشدائدِ، ولا يَطْفُو في الغالبِ إِلَّا ما حُبِّثَ مِنَ الأشياءِ، فيَطْفُو في هذه الأيامِ هذا الفحشُ والتفحُّشُ، وهو قبيحُ القولِ من إنسانٍ كنتَ تحسبه مُتَحَضِّراً مثقفاً صالحاً ناصحاً، لكنْ هذا شأنُ الشدائدِ.

قال أبو حامد الغزاليُّ رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «الإحياء»: «والباعثُ على الفُحشِ إمَّا قصدُ الإيذاءِ، وإمَّا الاعتيادُ الحاصلُ من مخالطةِ الفساقِ وأهلِ الخبثِ واللُّؤمِ ومَن عادتهمُ السُّبُّ»<sup>(١)</sup>.

والفُحشُ -وهو القولُ القبيحُ- من كبائرِ الذنوبِ، تدبَّرَ قولَ الحقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فقد جاء التحذيرُ مِنَ الفواحشِ والتي منها قبيحُ القولِ والعملِ في مَصافِّ الشُّركِ والقولِ على اللهِ بغيرِ علمٍ.

وقد حذَّرَ النبيُّ ﷺ من ذلكَ وجعلَهُ من كبائرِ الذُّنوبِ، كما أوردَ ذلكَ ابنُ حجرٍ الهيثميُّ رَحِمَهُ اللهُ صاحبُ كتابِ «الزواجر» الذي جمعَ فيه الكبائرَ، إذ يقولُ: «إِنَّ مُلَازِمَةَ الشَّرِّ وَالْفُحْشِ مِنَ الْكِبَائِرِ»<sup>(٢)</sup>، ثم استدلَّ بقولِ النبيِّ ﷺ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءً شَرًّا»<sup>(٣)</sup>.

وقال النبيُّ ﷺ في حديثِ جابرِ بنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْفُحْشَ وَالْتَفَحْشَ

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٢٢).

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، رقم (٦٠٣٢)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب مداراة من يتقى فحشه، رقم (٢٥٩١)، من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»<sup>(١)</sup>.

وإني أستغربُ هذا الإرثَ العظيمَ، وهذه النصوصَ المباركةَ التي تتردَّدُ على الأسماعِ ليلَ نهارٍ، فإذا بهذا الإنسانِ المسلمِ عندَ أولِ صدمةٍ يتخلَّى عن هذا الأمرِ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَسَوْءُ الْجَوَارِ، وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ»<sup>(٢)</sup>.

وإنَّ أشدَّ ما يُؤلمُ أن تَرى الرجلَ الصالحَ أو مَنْ يشارُ إليه بالتدبُّينِ، أو مَنْ يقِفُ موقفَ التعليمِ لغيره، تراه مُنخرِطًا في الفُحْشِ والتَّفَحُّشِ، وهذه مصيبةٌ، فعندَما تَرى المُعلِّمَ الَّذي رُبما كانَ خطيبًا أو إمامَ مسجدٍ أو واعظًا، تراه معَ الرِّكبِ يسيرُ في بداءةٍ وتدنُّ في أخلاقه، وعندَه هذا الموروثُ في صدره يحفظُه عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فتراهُ يحفظُ ما جاءَ في صحيحِ ابنِ حبانٍ؛ إذ يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: «وَأَيَّاكُمْ وَالْفُحْشِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ»<sup>(٣)</sup>، فهو يعلمُ أن اللهَ سُبحانَهُ وتعالى لا يحبُّ الفُحْشَ ولا التَّفَحُّشَ، وإذا به يقعُ في هذا الوحلِ. وتراهُ يحفظُ ما جاءَ عن أسامةَ بنِ زيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١٩/٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٢/٢)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أحمد (١٥٩/٢)، وابن حبان في صحيحه رقم (٥١٧٦)، من حديث عبد الله بن عمرو بن

العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٥٦٩٤).

وَيَحْفَظُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ»<sup>(١)</sup>.

وَيَحْفَظُ مَا ذَكَرْتَهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَما سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: «لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا صَخَّابًا بِالْأَلْفَاظِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»<sup>(٢)</sup>.

فَانظُرْ يَا مَنْ تَدْعُو إِلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَيَا مَنْ تُظْهَرُ التَّاسِّيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، هَذَا هُوَ خُلُقُهُ كَمَا أَخْبَرَتْ بِذَلِكَ زَوْجَتُهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَلَا يَعْرِفُ طَرِيقَ عِفَّةِ اللِّسَانِ مِنَ الْفَحْشِ وَالتَّفَحُّشِ إِلَّا مَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ، الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوَازِينَ إِذَا نُصِبَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ أَثْقَلَ مَا يُوضَعُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ حُسْنُ الْخُلُقِ، هَكَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - حَيْثُ قَالَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنِ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ رَأَى أَبُو الدَّرْدَاءِ امْرَأَةً سَلِيطةَ اللِّسَانِ، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ كَانَتْ هَذِهِ خَرَسَاءَ لَكَانَ خَيْرًا لَهَا»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، رقم (١٩٧٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٧٤)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، رقم (٢٠١٦).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، رقم (٤٧٩٩)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم (٢٠٠٢).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت رقم (١٠٠).

وقال النبي ﷺ لعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: **«يَا عَائِشَةُ! إِيَّاكِ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ الْفُحْشَ لَوْ كَانَ رَجُلًا لَكَانَ رَجُلًا سُوءًا»** (١).

وقد تقدّم ما جاء في صحيح البخاريّ وغيره أنّ اليهود دخلوا على النبي ﷺ أو مرّوا به، فقالوا: السام عليك يا محمد. أي: الموت عليك. فغضبت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ لأنّها لم تسمع من النبي ﷺ ردّاً إلا أن يقول: **«وَعَلَيْكُمْ»**، هم يقولون: السام عليك وهو يقول: **«وَعَلَيْكُمْ»** فغضبت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وقالت: عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم. فإذا بالنبي ﷺ يلتفت إلى عائشة يُريها على عفة اللسان فيقول: **«مَهَلًا يَا عَائِشَةُ! وَعَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ»**، قالت عائشة: أو لم تسمع ما قالوا يا رسول الله؟، قال: **«أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»** (٢).

فمن أراد أن يتخلّق بأخلاق حسنة فهذه هي أخلاق النبي ﷺ، وعلى الإنسان أن يحذر أن يقع في هذا الوحل، فهذا الوحل إنّما مرّده على قائله يأكل حسناته أكلاً، والفاحش المتفحش يبحث لنفسه عذاراً، ويقول: أنا ما لجأت إلى ردّ الصاع صاعين إلا لسبب أن هناك من يهاجمنا، وهناك من يسبنا، وهناك من يُعيّرنا! وهناك وهناك.. فنردّ عليه بالكيل كيلين!!.

نقول له: اعلم أن هناك قضيتين لا بدّ أن تتبّه إليهما:

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٨٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، رقم (٦٠٣٠)، ومسلم:

كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، رقم (٢١٦٥).

الأولى: أن هناك مَنْ يَسْعَى في الوشاية بينك وبين أخيكِ بِآلافٍ مِنْ الحِساباتِ الوَهْميةِ؛ لِيُوغِرَ صدركَ وصدَرَ أخيكِ؛ لِيُحَقِّقَ له ولأجندتِهِ ما يُريدُ، فانتبه لذلك.

الأمر الثاني - وهو أهم - : لَأنَّهُ هو وصيةُ النبي ﷺ: مَنْ قَالَ لَكَ: إِنَّ القُوَّةَ أن تَرُدَّ الصَّاعَ صَاعَيْنِ؟ وَمَنْ قَالَ لَكَ: إِنَّ الانْتِصَارَ أَنَّكَ تَرُدُّ عَلَيَّ مَنْ شَتَمَكَ وَسَبَّكَ؟

جاءَ سُلَيْمُ بْنُ جَابِرِ الهُجَيْمِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى النبي ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي، فَأَوْصَاهُ ﷺ بِخَمْسِ وَصَايَا، قَالَ لَهُ فِي الوصيةِ الخَامِسَةِ: «وَإِنْ أَمْرُ عِيْرِكَ بِشَيْءٍ يَعْلَمُهُ مِنْكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِشَيْءٍ تَعْلَمُهُ مِنْهُ، دَعُوهُ يَكُونُ وَبِأَلِّهِ عَلَيْهِ، وَأَجْرُهُ لَكَ، وَلَا تُسَبِّنَّ شَيْئًا»، قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدُ إِنْسَانًا وَلَا دَابَّةً<sup>(١)</sup>.

هكذا هو الالتزام بالسُّنة، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْتاحَ وَيُرِيحَ غَيْرَهُ مِنْهُ فَلْيَلْزِمْ طَرِيقَ وَهْدِي النبي ﷺ.



(١) أخرجه أحمد (٥ / ٦٣)، وأبو داود: كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، رقم (٤٠٨٤)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (١١٨٢).

K

K

(٢٤)

وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ

•• k ••

تَحَدَّثْنَا فِيهَا تَقَدَّمَ عَنِ الْفُحْشِ وَالتَّفَحُّشِ، وَبَيَّنَّا أَنَّ هَذَا الْخُلُقَ الذَّمِيمَ هُوَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي تَظْهَرُ وَتَزْدَادُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ -أَوْقَاتِ الْأَزْمَاتِ وَالْمِحَنِ وَالشَّدَائِدِ وَالْفِتَنِ- وَمِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ: خُلُقٌ آخَرٌ، وَهُوَ الْفُجُورُ فِي الْخُصُومَةِ، وَهُوَ خُلُقٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ يَجِدُ لَهُ مَكَانًا وَاسِعًا فَسِيحًا فِي وَقْتِ الْفِتَنِ وَالْأَزْمَاتِ وَالشَّدَائِدِ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الْعَوَاصِفِ الَّتِي تَعْصَفُ بِخَلِيجِنَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ تَبَّتْ هَذِهِ النَّابِتَةُ.

نَعَمْ، قَدْ يَحْدُثُ خِصَامٌ بَيْنَنَا، وَلَكِنَّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ هَذَا الْفُجُورُ فِي الْخُصُومَةِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

وَبَيَّنَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْفُجُورَ فِي الْخُصُومَةِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ وَخُلُقٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ: «أَرْبَعٌ مِنْكُمْ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا اتُّمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم (٣٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم (٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



فَمَنْ إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ فِيهِ خِصْلَةً مِنْ خِصَالِ النِّفَاقِ، وَهِيَ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، لَا تُمَحَى حَتَّى يَتُوبَ مِنْهَا الْإِنْسَانُ وَيَدَعَهَا.  
 وَقَدْ حَدَّرَ سَلْفُ الْأُمَّةِ مِنْ هَذِهِ الْخِصْلَةِ، فَهَا هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ تُحَدِّثُ عَنْ جَدِّهَا عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ جَمِيعًا- أَنَّهُ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْخُصُومَةَ؛ فَإِنَّهَا تَمَحُّقُ الدِّينَ، تَأْتِي عَلَى دِينِ الْإِنْسَانِ فَتَسْلُبُهُ»<sup>(١)</sup>؛ أَي: تَمَحُّقُ هَذِهِ الْحَسَنَاتِ الَّتِي جَمَعَهَا مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ.

وَهَا هُوَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ وَقَدْ عُرِفَ بِحِلْمِهِ وَأَنَاتِهِ يُوجِّهُ مَنْ مَعَهُ وَمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ فَيَقُولُ: «كَثْرَةُ الْخُصُومَةِ تُنَبِّتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ»<sup>(٢)</sup>.  
 وَبِالْفِعْلِ.. فَبَعْضُ النَّاسِ يُعْرِفُ بِكَثْرَةِ الْخُصُومَةِ؛ يُخَاصِمُكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، سِوَاءٌ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ يَعْنِيهِ أَوْ لَا يَعْنِيهِ فَكَثْرَةُ الْخُصُومَةِ عَلَى لِسَانِهِ وَفِي فِعْلِهِ.  
 وَهَذَا مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْخُصُومَاتِ؛ فَإِنَّهَا تُجَبِّطُ الْأَعْمَالَ»<sup>(٣)</sup>.

وَهَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «الْخُصُومَةُ تَمَحُّقُ الدِّينَ وَتُنَبِّتُ الشَّحْنَاءَ فِي صُدُورِ الرِّجَالِ»<sup>(٤)</sup>.

فَأَيُّ مُجْتَمَعٍ -كَبُرَ هَذَا الْمَجْتَمَعُ، أَوْ كَانَ صَغِيرًا كَالْأَسْرِ وَالْبُيُوتِ- إِذَا كَثُرَتْ

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٢١١).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٢٢٠).

(٣) أخرجه ابن بطّة في الإبانة (٢/ ٥٢٢، رقم ٦٢١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٢٢١).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت رقم (١٥٤).

فيه الخصومات نبتت الشحناء في صدورهم، ويترتب على ذلك مسائل.  
والله تبارك وتعالى يحبُّ الرُّحماء، لكنَّه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يُغضُّ هذا الفاجر في  
خصومته، ولك أن تتصوّر إنساناً يمشي على الأرض، يأكل معنا ويشرب معنا  
ويصلي معنا، والله في سمائه يُغضبه، فكيف يكون حاله؟!!

قالت عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: **«إِنَّ أَبْغَضَ الرَّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلْدُ  
الْخَصْمُ»**<sup>(١)</sup>؛ أي: المعوجُّ عن الحقِّ، المولعُ بالخصومة، الماهرُ بها.  
وكذا قال النبي **ﷺ** في حديث حارثة: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عَتْلٍ  
جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ»**<sup>(٢)</sup>؛ والعتل هو: شديدُ الخصومة، الذي يفجرُ بها.

وانظر اليوم إلى حال الناس في خصوماتهم كيف يفجرون ويتجاوزون كلَّ  
الحدود، إذا اختلف معك في هدف، أو في رؤية، أو حتى في مسألةٍ وحكمٍ شرعيٍّ،  
فَجَرَ في خصومته لك!

ويترتب على الخصومة أمرٌ عظيمٌ يحصل غالباً: وهو أن الإنسان إذا فجرَ في  
خصومته رمى من يُخاصمه بالكذب والافتراء والبُهتان؛ حتى يدلُّ على ما يقول،  
وهذا الذي نُشاهدُه، أو نقرؤه، أو نسمعُ به، كذبٌ في حقِّ المخالفِ وافتراءٌ عليه  
وبُهتانٌ، لكنَّ هذا الأمر لا يمكن أن يذهب سُدًى، فقد قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: **﴿وَمَنْ  
يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾** [النساء: ١١٢]؛ أي:

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: **﴿وَهُوَ الْأَلْدُ الْخَصْمُ﴾**، رقم (٢٤٥٧)،  
ومسلم: كتاب العلم، باب في الألد الخصم، رقم (٢٦٦٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب **﴿عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾**، رقم (٤٩١٨)، ومسلم: كتاب  
الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون، رقم (٢٨٥٣).

يأتي يومَ القيامةِ مُحَمَّلًا بالبُهتانِ والإثمِ، يَحْمَلُ ذلكَ على كاهلِهِ. وقولُهُ: ﴿ثُمَّ يَرْمِي﴾ ليسَ بالضرورةِ أن تكونَ هذه الرميَّةُ بسهمٍ أو بُندقيةٍ، بل قد تكونُ كلمةً أشدَّ من ذلكَ، أو تغريدةً يرمي بها، أو مقالًا في صحيفةٍ يرمي بها خصمَهُ فيفجُرُ في ذلكَ، وهذا واقعٌ.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ» سواءً رماهُ بكلمةٍ، أو بفريضةٍ، أو بصورةٍ كاذبةٍ مُدبَلِجَةٍ مُفبركةٍ، وضعها على مواقعِ التَّواصلِ وأشاعها، «حَبَسَهُ اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يُخْرَجَ مِمَّا قَالَ»<sup>(١)</sup>. فلكَ أن تتصوَّرَ هذه العقوبةَ!

وفي روايةٍ في «سُنن أبي داود»: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدَّغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يُخْرَجَ مِمَّا قَالَ»<sup>(٢)</sup>.

و«رَدَّغَةَ الْخَبَالِ» أي: عَصَاةُ أَهْلِ النَّارِ، ومُسْتَنقَعُ ما يُخْرَجُ مِنْهُمْ، هذا مكانٌ مَنِ افترَى على الآخرين حينما خاصمهم واختلف معهم، فرماهم بالبُهتانِ والافتراءِ.

نعم، قد لا أتفقُ معك، لكنني لا أفجُرُ بالخصومةِ معك؛ لأنني لو فجرتُ في الخصومةِ معك سأقعُ في البُهتانِ والكذبِ والافتراءِ.

بقِيَ أن أقولَ: إننا بشرٌ، ونعيشُ مع البشرِ، فإذا وقعَ عليك بُهتانٌ أو افتراءٌ،

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤١)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة، رقم (٤٨٨٣)، من

حديث معاذ بن أنس الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٧٠)، وأبو داود: كتاب الأفضية، باب فيمن يعين على خصومة، رقم (٣٥٩٧)،

من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

أَوْ فَجَرَ خِصْمُكَ فِي الْخِصُومَةِ مَعَكَ، فَلَا يَسْتَفِرِّكَ، وَلَا تَرُدُّ عَلَيْهِ، وَارْتَفِعْ أَنْتَ  
وَدَعَهُ هُوَ فِي أَسْفَلِ مَا يَكُونُ.

وَقَدْ سَبَّ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ سَبًّا شَدِيدًا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ: «يَا  
هَذَا، لَا تُفْرِطْ فِي شَتْمِنَا، وَأَبِقِ لِلصَّلَاحِ مَوْضِعًا، فَإِنَّا لَا نُكَافِي مَنْ عَصَى اللَّهَ فِينَا  
بَأَكْثَرِ مَنْ أَنْ نَطِيعَ اللَّهَ فِيهِ»<sup>(١)</sup>.

كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تَجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ<sup>(٢)</sup>

وَقَالَ الْآخَرُ:

يُحَاطِئُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ فُبْحٍ فَأُكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبًا

يَزِيدُ سَفَاهَةً فَأَزِيدُ جِلْمًا كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طِيبًا<sup>(٣)</sup>

فَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَمَا يُسْتَفْزُ مِنَ الْآخَرِينَ، وَهُوَ الَّذِي لَا  
يُجَارِي السَّفَهَاءَ فِي سَفَاهَتِهِمْ، وَهُوَ الَّذِي إِذَا أُغْضِبَ تَحَكَّمَ فِي هَذَا الْغَضَبِ.

وَقَدْ قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ قِسْمَةً مِنَ الْغَنَائِمِ، فَأَعْطَى هَذَا، وَأَعْطَى  
هَذَا، وَأَعْطَى هَذَا، وَكُلُّ لَهُ عَطَاءٌ مُخْتَلَفٌ، فَقَامَ أَحَدُ الرِّجَالِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ  
يَرَى النَّبِيَّ ﷺ وَيُصَلِّيْ خَلْفَهُ، لَكِنَّهُ وَقَعَ فِي الْفُجُورِ فِي الْخِصُومَةِ؛ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ١١٣)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٨١٠٦).

(٢) اختلف في قائله، وانظره في ديوان الشافعي (ص: ٣٩)، والصمت لابن أبي الدنيا رقم (٧١٠)،

وروضة العقلاء لابن حبان (ص: ١٤٠)، والأمثال للرامهرمزي (ص: ٩٩).

(٣) ديوان الشافعي (ص: ٣٣).

لِقِسْمَةٍ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ. فَأَخْبَرَ ﷺ، فغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَمْ يُبْرِزْ لِنَفْسِهِ، بَلْ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى؛ لَقَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبْرًا»<sup>(١)</sup>؛ أَي: إِنْ كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ أَزِيدُ مِنْ هَذَا فَسَأَصْبِرُ.

وَقَدْ سَبَّ أَحَدُ النَّاسِ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَبًّا شَدِيدًا، صِرَاحَةً فِي وَجْهِهِ، لَا مِنْ وِرَاءِ اسْمٍ مُسْتَعَارٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «انْتَهَيْتَ؟»، قَالَ: «انْتَهَيْتُ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ أَزِيدَ أَزِيدُ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «يَا جَارِيَةَ، اتَّبِينِي بَوْضُوءٍ». فَتَوَضَّأَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَكَ هَذَا سَبَّنِي، وَقَالَ عَنِّي مَا لَمْ أَعْلَمْهُ عَن نَفْسِي، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا صَادِقًا فِيمَا قَالَ عَنِّي فَاغْفِرْ لِي، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا فِيمَا قَالَ عَنِّي فَاغْفِرْ لَهُ»، قَالَ: فَأَكَبَّ الرَّجُلُ عَلَيْهِ يُقْبِلُهُ عَلَى رَأْسِهِ.

وَعَدَمُ رَدِّكَ عَلَى مَنْ يَسْتَفْزُكَ لَيْسَ ضَعْفًا، لَكِنَّهُ قُوَّةٌ، كَمَا قَالُوا لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَهَا خَاصَمَهُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْفُجُورِ: لِمَاذَا تَسَكَّتُ عَنْهُمْ؟ قَالَ:

قَالُوا سَكَتَ وَقَدْ حُوصِمْتُ قُلْتُ لَهُمْ  
وَالصَّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ شَرَفٌ  
إِنَّ الْجَوَابَ لِإِبَابِ الشَّرِّ مِفْتَاحُ  
وَفِيهِ أَيْضًا لَصَوْنِ الْعِرْضِ إِصْلَاحُ  
أَمَّا تَرَى الْأُسْدَ تُخْشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ؟  
وَالكَلْبُ يُخْسَى لِعَمْرِي وَهُوَ نَبَّاحٌ<sup>(٢)</sup>

(١) أخرجه البخاري: كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم، رقم (٣١٥٠)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام، رقم (١٠٦٢)، من

حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ديوان الشافعي (ص: ٥١).

هذا هو توجيهُ النبي ﷺ، فمن أرادَ الخيرَ والعافيةَ لنفسِه فليَزرَمْ هذا المنهجَ،  
أمَّا مَنْ أرادَ العنتَ والتعبَ والتشويشَ على حياتِه فليُجارِ السفهاءَ فيما يقولونَ،  
وليُستمعَ لفُجورِ أهلِ الخُصوماتِ.





( ٢٥ )

ثُمَّ اسْتَقَامُوا

•• k ••

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤].  
فالاستقامة على دين الله سبب رئيس في سعادة العبد في الدنيا والآخرة، وفلاحه ورشاده في أمره كله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «مدارج السالكين»: «فمن هُدي في هذه الدارِ إلى صراطِ الله المستقيم، الذي أرسل به رُسله، وأنزل به كتبه، هُدي هناك إلى الصراطِ المُستقيم، الموصل إلى جنته ودارِ ثوابه، وعلى قدرِ ثبوتِ قدمِ العبدِ على الصراطِ الذي نصبه اللهُ لعباده في هذه الدارِ يكونُ ثبوتُ قدمه على الصراطِ المنصوبِ على متنِ جهنم، وعلى قدرِ سيره على هذا الصراطِ يكونُ سيرُهُ على ذلك الصراطِ»<sup>(١)</sup>.

(١) مدارج السالكين (١/٣٣).

خُلاصَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُفِّقَ لِلِاسْتِقَامَةِ هُنَا وَفُفِّقَ لِلِاسْتِقَامَةِ هُنَاكَ، وَأَنَّ مَنْ التَزَمَ صِرَاطَ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمَ فِي الدُّنْيَا وَفَقَّهَهُ اللَّهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمَوْصِلِ إِلَى جَنَّتِهِ وَدَارِ ثَوَابِهِ، وَعَلَى قَدْرِ سَيْرِهِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ يَكُونُ سَيْرُهُ هُنَاكَ عَلَى ذَلِكَ الصِّرَاطِ.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالِاسْتِقَامَةِ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَلَمَنْ اتَّبَعَهُ: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

وَأَوْصَى الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ بِالِاسْتِقَامَةِ، فَقَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

وَأَمَرَ عِبَادَهُ كُلَّهُمْ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦].

وَجَاءَ سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدَّثَنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ؟ قَالَ: «قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ. ثُمَّ اسْتَقِم»<sup>(١)</sup>.

فَمَنْ أَرَادَ الْإِعْتَصَامَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي تَمُوجُ بِالْفِتَنِ وَالْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ عَلَيْهِ بِهِذِهِ الْوَصِيَّةِ: «قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِم»، أَي: حُدِّدْ وَجْهَتَكَ وَهَدْفَكَ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ.

وَالِاسْتِقَامَةُ: هِيَ تَوْحِيدُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَإِفْرَادُهُ بِالْخَلْقِ وَالْإِبْرَادِ، وَالْعِبَادَةِ.

(١) أخرجه أحمد (٤١٣ / ٣)، والترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم (٢٤١٠)،

وابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم (٣٩٧٢).

وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، رقم (٣٨)، بلفظ: «قل: آمنت بالله، فاستقم».



وقَدْ قُرِيَ عَلَى الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>، أَي: الَّذِينَ وَحَدُوا اللَّهَ، وَتَجَنَّبُوا كُلَّ شَائِبَةٍ مِنْ شَوَائِبِ الشَّرِكِ.

وَقُرِئَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، فَقَالَ: «الاسْتِقَامَةُ: أَنْ تَسْتَقِيمَ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَلَا تَرَوْغَ رَوْغَانَ الثَّلَعِبِ»<sup>(٢)</sup>؛ أَي: لَا تَمِيلْ هُنَا وَلَا هُنَاكَ.

وَالاسْتِقَامَةُ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَشَأْنٌ عَظِيمٌ، وَهِيَ مِنَّةٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَعَطَاءٌ وَهَبَةٌ، فَإِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ مَيْلًا إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ فَاحْمَدِ اللَّهَ، وَإِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ مَيْلًا عَنِ الْاسْتِقَامَةِ فَاطْلُبْهَا مِنَ اللَّهِ.

وَتَأْمَلْ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ نَرُكْعُهَا تَجِدُنَا نَقُولُ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وَلَوْ لَمْ نَدْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ فِي صَلَاتِنَا لَبَطَلَتْ صَلَاتُنَا، آيَةٌ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ تُرَدِّدُهَا فِي كُلِّ صَلَاةٍ -فَرِيضَةً كَانَتْ أَوْ نَافِلَةً- ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ لِحَاجَتِنَا إِلَى هَذِهِ الْاسْتِقَامَةِ، وَالْقَلْبُ يَتَقَلَّبُ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا جَاءَ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ» أَي: جَعَلَهُ عَلَى الْاسْتِقَامَةِ، «وَإِنْ شَاءَ أَرَاغَهُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٢٠/٤٢٢-٤٢٣).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١/١١٠)، رقم (٣٢٥)، وأحمد في الزهد رقم (٦٠١)، والطبري في التفسير (٢٠/٤٢٥).

(٣) أخرجه أحمد (٤/١٨٢)، وابن ماجه: مقدمة السنن، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٩٩)، من

حديث النّوأس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَمَنْ أَرَادَ الْإِسْتِقَامَةَ فَلْيَسْعَ لَهَا سَعِيًّا حَثِيثًا قَوْلًا وَعَمَلًا.  
 أَمَّا مِنْ نَاحِيَةِ الْعَمَلِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ  
 فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تِنَّهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾**  
**وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾** [النساء: ٦٦-٦٨]، أي: إذا فعلوا ما يُوعَظُونَ بِهِ.  
 وَقَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَيْضًا: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ  
 فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾** [النساء: ١٧٥].  
 فَإِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ مِيلًا عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ ادْعُ اللَّهَ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** أَنْ يَهْدِيكَ  
 طَرِيقَ الْإِسْتِقَامَةِ.

وَجَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِيَامِ  
 اللَّيْلِ: بِإِذَا يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ؟ فَقَالَتْ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا وَأَرْضَاهَا-: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ  
 يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ قَائِلًا: **«اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ  
 يَخْتَلِفُونَ، فَاهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ»** (١).

هَذَا وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُوَيَّدُ بِالْوَحْيِ، الْمُوَيَّدُ بِالْمُعْجَزَاتِ، الْمُوَيَّدُ بِالْكِتَابِ  
 الْمُنزَّلِ عَلَيْهِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ: **«اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي  
 مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»**.

فَمَنْ أَرَادَ الْإِسْتِقَامَةَ طَلَبَهَا مِنَ اللَّهِ؛ فَاللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إِنْ شَاءَ لَنَا الْإِسْتِقَامَةَ  
 أَقَامَنَا عَلَيْهَا، وَإِنْ شَاءَ لَنَا الرُّوْغَانَ أَرَاغَ الْقُلُوبِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (٧٧٠).

وهذه الاستقامة قد تتعرض إلى جرّافات تحرفها عن صراط الله المستقيم، وأعظم ما يهدّدها هذا اللسان! واليوم وما تُشاهده الأعين وتسمع به الآذان في هذا الإسفاف المعلن الظاهر، في هذه الفتن التي تعيشها بلادنا وبلاد الخليج كافة، انحراف عن أخلاق المسلم، وانحراف عن نصوص الكتاب والسنة، وإظهار للمعادن الحقيقية، حينما يعوجُّ هذا اللسان.

قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ**»<sup>(١)</sup>؛ فإذا أردت أن تدرك تمامًا حجم استقامتك فانظر إلى استقامة لسانك؛ فإنها اللسان يُخبرُ عمّا في القلب، ودلالة استقامة العبد: استقامة القلب، واللسان يُخبرك عن ذلك.

وقد قال رسول الله ﷺ والحديث عند الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ**» أي: تتذلل له وتخضع، وترجو؛ «**تَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ؛ إِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»<sup>(٢)</sup>.

فإذا اعوجَّ اللسان اعوجَّت الجوارح فاعوجَّ الإنسان عن صراط الله المستقيم.



(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٨)، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٩٥-٩٦)، والترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، رقم (٢٤٠٧).

K

K

(٢٦)

## خُلِقَ الْحَيَاءُ

•• k ••

قال النبي ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»<sup>(١)</sup>؛ فكلُّ دينٍ دانت به أمةٌ من الأمم جعلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في ذاك الدِّينِ ما يُمَيِّزُهُ مِنَ الأخلاقِ عَن غيرِهِ مِنَ الأديانِ، وجعلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الخُلُقَ المُمَيِّزَ في هذا الدِّينِ خُلُقَ الْحَيَاءِ.

والحياءُ مُشتقٌّ مِنَ الحياءِ، وهو الغيثُ النازلُ مِنَ السماءِ؛ فُنبتُ بِهِ الأَرْضُ، وَتَحْيَا، وكذلك نفوسُ العبادِ، فَإِنَّهَا لَا تَحْيَا إِلَّا بِخُلُقِ الْحَيَاءِ، فإذا رأيتَ نفسًا بغيرِ حياءٍ؛ فاعلمَ أَنَّ صاحبَهَا يحملُ نفسًا مَيِّتَةً، فالحياءُ تَحْيَا بِهِ الأَرْضُ، والحياءُ تَحْيَا بِهِ نفوسُ العبادِ.

والحياءُ خُلِقَ يَحْبُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قالَ رسولُ اللهِ ﷺ للأشجِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ فِيكَ خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ» قالَ: قُلْتُ: مَا هُمَا؟ قالَ: «الْحِلْمُ وَالْحَيَاءُ»، قالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَقَدِيمًا كَانَ فِيَّ أَمْ حَدِيثًا؟ أي: هذا أمرٌ قد جُبِلتَ عليه أو صارَ بعدَ الإسلامِ، «قالَ: بَلْ قَدِيمًا»، قالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب، باب، رقم (٤١٨١، ٤١٨٢)، من حديث أنس، وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (٤/٢٠٥-٢٠٦)، من حديث الأشجِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فالمخلوق بخلق الحياء تَخَلَّقَ بِخُلُقٍ يُحِبُّهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَلْ قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ»<sup>(١)</sup>.

والحياء لا يُعَابُ، وَمِنَ الْكَلَامِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِنَا وَهُوَ خَطَأً، أَنَّ أَحَدَنَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوصِيَ ابْنَهُ قَالَ لَهُ: لَا تَسْتَحِ، فَالحياء لا يُعَابُ، وَلَا يُذَمُّ، وَلَعَلَّ هَذَا الْوَالِدَ الَّذِي يُوصِي وَلَدَهُ إِنَّمَا قَصَدَ الْحَجَلَ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ لَهُ: «لَا تَخْجَلْ»، وَلَا يَقُولَ لَهُ: «لَا تَسْتَحِ»، فَإِنَّ الْحَيَاءَ لَا يُذَمُّ.

فَقَدْ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ - كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» - عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ - أَي: يَقُولُ لَهُ: خَفِّفْ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تَكُنْ حَيًّا إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٢)</sup>؛ فَلَا تَذْمُوا الْحَيَاءَ أَبَدًا.

وَكَلَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ حَيًّا أَكْثَرَ كَانَ قَرِيبًا مِنَ اللهِ أَكْثَرَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ هَذَا الْخُلُقَ الَّذِي - مَعَ كُلِّ أَسْفٍ - نَرَاهُ يَتَقَلَّصُ وَيَذْهَبُ فِي وَقْتِنَا الَّذِي نَعِيشُهُ الْيَوْمَ، فَمَا عُدَّتْ تَرَى الْحَيَاءَ إِلَّا عِنْدَ الْقَلِيلِ مِنَ النَّاسِ، وَعِنْدَ النَّادِرِ مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ الْأَبَاءُ وَالْأَجْدَادُ قَبْلَ سِنَوَاتٍ يَذْمُونَ الرَّجُلَ قَلِيلَ الْحَيَاءِ، وَالْمَرْأَةَ قَلِيلَةَ الْحَيَاءِ، إِذَا أَتَى الرَّجُلُ بِفِعْلٍ يَسِيرٍ لَكِنَّهُ يُخَالَفُ مَا تَعَارَفُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَيَاءِ، فَلَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ قَبْلَ سِنَوَاتٍ تَجْرُؤُ أَنْ تَشْرَبَ الْمَاءَ فِي الطَّرِيقِ خَشِيَةً أَنْ يَرَاهَا الرَّجَالُ، وَلَمْ يَكُنْ

(١) أخرجه أحمد (٢٢٤/٤)، وأبو داود: كتاب الحمام، باب النهي عن التعري، رقم (٤٠١٢)، والنسائي: كتاب الغسل، باب الاستتار عند الاغتسال، رقم (٤٠٦)، من حديث يعلى بن أمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، رقم (٢٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، رقم (٣٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الرجل في المجلس يجلس على هواه، وإنما يتحفّظ، ويجلس كما ينبغي؛ لأنّ الإخلال في جلوسه يعدُّ من قلة الحياء.

فانظر أين وصل الناس اليوم؟ وكيف حال المرأة، والرجل، سواء ذو الشيبة أو الشاب! وقد خلع بعضهم جلباب الحياء، ويصوّر قلة الحياء، وينشرها لتراها مئات الألواف من الأعين؟!!

ولا شك أن أبلغ صور الحياء هو الحياء من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فقد جاء سعيد بن يزيد الأزدي إلى النبي **ﷺ**، قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: **«أَوْصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، كَمَا تَسْتَحِيَ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فِي قَوْمِكَ»**<sup>(١)</sup>.

فانظر إلى حالنا إذا دخل علينا رجل صالح، يتغيّر الحديث، وتتوقّف الغيبة، وتبدّل القنائة، وتطفأ السجائر؛ احتراماً لهذا الرجل الصالح؛ لأننا نستحي منه، فقال النبي **ﷺ**: **«اسْتَحِ مِنَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، كَمَا تَسْتَحِيَ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فِي قَوْمِكَ»**؛ لأنّ العبد إذا استشعر رقابة الله، وأنه الآن ينظر إليه كما ينظر إليه الرجل الصالح لتورّع عن الخطأ.

وكيف لا نستشعر رقابة الله، والله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يقول: **﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾** [١٤]، ويقول: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا نُوسِسُ بِدِينِهِ فَسَمَّهٖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾** [ق:١٦].

كيف لا والله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يقول: **﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾** [الزخرف:٨٠].

(١) أخرجه أحمد في الزهد رقم (٢٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٩٦، رقم ٥٥٣٩).

حَتَّى قَالَ الْأَوَّلُ:

إِذَا مَا قَالِ لِي رَبِّي      أَمَا اسْتَحْيَيْتَ تَعْصِيَنِي؟  
وَتُخْفِي الذَّنْبَ مِنْ خَلْقِي      وَبِالْعِضْيَانِ تَأْتِينِي؟  
فَمَا قَوْلِي لَهُ لَمَّا      يُعَايِتُنِي وَيُقْصِيَنِي؟<sup>(١)</sup>

قال مالك بن دينارٍ رَحِمَهُ اللهُ: «ما عاقب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَلْبًا بِأَشَدِّ مِنْ أَنْ يَسْلُبَ مِنْهُ الْحَيَاءَ».

فإذا رأيت رجلاً أو امرأة، أو شاباً أو كبيراً سنٌّ يعيش في الناسٍ بغير حياءٍ، فاعلم أنه مُعاقبٌ، فقد سلب الله منه الحياءَ.

فإن قال قائلٌ: لماذا الحياءُ؟

فالجوابُ: أولاً: لأنَّ الحياءَ مِنَ الْإِيمَانِ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً كما في حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عندَ البخاري: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٣)</sup>، وقال: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَدَأُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ»<sup>(٤)</sup>.

- (١) انظر: تلبس إبليس لابن الجوزي (ص: ٢٠٢)، ديوان أبي العتاهية (ص: ٢٠١).  
(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، رقم (٢٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، رقم (٣٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.  
(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم (٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، رقم (٣٥).  
(٤) أخرجه أحمد (٥٠١/٢)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الحياء، رقم (٢٠٠٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ      وَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِ إِذَا قَلَّ مَأْوُهُ  
حَيَاؤُكَ فَاحْفَظْهُ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا      يَدُلُّ عَلَى فِعْلِ الْكَرِيمِ حَيَاؤُهُ<sup>(١)</sup>

وقال رسول الله ﷺ: «الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرْنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ»<sup>(٢)</sup>.

ثانيًا: لأن الحياء زينٌ، وخلافه شينٌ، قال رسول الله ﷺ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ»<sup>(٣)</sup>.

فتخلت بالحياء في كل حياتك، فإنه زينٌ، كُن حَيًّا فِي بَيْتِكَ، وَفِي عَمَلِكَ، وَفِي الشَّارِعِ، وَفِي الْمَسْجِدِ؛ فَإِنَّ الْحَيَاءَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ؛ لقوله ﷺ: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»<sup>(٤)</sup>، وقوله: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»<sup>(٥)</sup>.

بل قال الحسنُ رَحِمَهُ اللهُ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ كَامِلًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ وَاحِدَةٌ

(١) ذكره المبرد في الفاضل (ص: ٤٣)، غير منسوب، ونسبه الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ٢٤٧) لصالح بن عبد القدوس.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/٢٢)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٢٩٧)، والبيهقي في الشعب رقم (٧٣٣١). وأخرجه عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا موقوفًا: ابن أبي شيبة في المصنف رقم (٢٥٨٥٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١٣١٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣/١٦٥)، والترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الفحش والتفحش، رقم (١٩٧٤)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب الحياء، رقم (٤١٨٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم (٣٧/٦١)، من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٥) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الحياء، رقم (٦١١٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم (٣٧/٦٠)، من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.



- أو قال: وَمَنْ تَعَلَّقَ بِوَاحِدَةٍ - مِنْهُمْ كَانَ مِنْ صَالِحِي قَوْمِهِ: دِينَ يُرْشِدُهُ، وَعَقْلٌ يَسُدُّدُهُ، وَحَسَبٌ يَصُونُهُ، وَحَيَاءٌ يَقْوَدُهُ»<sup>(١)</sup>.

وجاء في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَسْتَحِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

فالاستحياء من الله حق الحياء أن يكون الإنسان حافظاً لحدود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأن يجعل من هذا الخلق حائلاً بينه وبين معصية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.



(١) آداب الحسن البصري لابن الجوزي (ص: ٤٨)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧)، والترمذي: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٤٥٨).



(٢٧)

## الصاحبُ صاحبٌ

•• k ••

هذه رسالة أتوجهُ بها على وجه الخصوص إلى أبنائنا وشبابنا الذين سيَتَقَلَّبون من مرحلة دراسية إلى أخرى، جامعية أو غيرها، وبانتقالهم هذا سيَتَعَرَّفون على زملاء جدد، وأصدقاء رُبَّما لم يتَعَرَّفوا عليهم من قبل، فأنصحُ هُهم أن يَخْتاروا الجليسَ الصالح، والصاحبَ الصالحَ الذي تَنفَعُ صحبته في الدنيا والآخرة، وهذا ليس توجيهاً مني، إنما هذا توجيهُ رسولِ الله ﷺ الذي قال لنا: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»<sup>(١)</sup>.

رسالة لنا جميعاً: لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وقد نصَحنا بها رسولُ الله ﷺ الذي قال في الحديث الصحيح المشهور المطروق على مسامعنا: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٨)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم (٤٨٣٢)، والترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، رقم (٢٣٩٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم (٥٥٣٤)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، رقم (٢٦٢٨)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فهل نحتاج إلى بيانٍ أوضحٍ من هذا البيانِ؟! قال عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ولا تصحبِ الفاجرَ فيعلمك من فجوره»<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ الطَّبَاعَ يسرقُ بعضها من بعضٍ، حتَّى لو كنتَ كبيرًا في السنِّ، ولقد وقفت على عددٍ من القصصِ لكبارٍ في السنِّ لما تغيَّرت صحبتهم تغيَّرت أحوالهم، فكيف بالأبناء والشبابِ!؟

وهناك ثلاثُ ثمراتٍ تجنيها من جليسك الصالح:  
الثمرَةُ الأولى: فإنك تتأثرُ بصلاجه وصدقِهِ وإخلاصِهِ وإحسانِهِ جزمًا، فقد جاء في مُسنَدِ أحمدَ قال رسولُ الله ﷺ: «المرءُ على دينِ خليلِهِ، فلينظرُ أحدُكم من يُخالِلُ»<sup>(٢)</sup>.

فالخيارُ لك أنتَ، فلا تجعلَ أحدًا يختارك، ولا تجعلَ أحدًا يختارُ لك، بل أنتَ الذي تختارُ، وبهذا الاختيارِ تتأثرُ؛ لذا قال الأولُ:

أَنْتَ فِي النَّاسِ تُقَاسُ بِالَّذِي اخْتَرْتَ خَلِيلًا  
فَأَصْحَابُ الْأَخْيَارِ تَعْلَمُوا  
صُحْبَةُ الْخَامِلِ تَكْسُو مَنْ يُؤَاخِيهِ خُؤُولًا<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (٢٦٠٤١)، وأبو داود في الزهد رقم (٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٥٥/١).

(٢) أخرجه أحمد (٣٠٣/٢)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم (٤٨٣٣)، والترمذي: كتاب الزهد، رقم (٢٣٧٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الأبيات لابن ليون، انظر: نفع الطيب للمقري التلمساني (٥٥٣/٥ - ٥٥٤).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما من شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب»<sup>(١)</sup>.

لذا إذا سألت عن رجل يُقال لك: مع من يذهب ويحيء؟ من صاحبه؟ فتعرفه من خلال هذه الصُحبة.  
لذا قيل:

**عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارِنِ يَقْتَدِي<sup>(٢)</sup>**

وفي كتاب «العزلة» للإمام الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ قال سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:  
«انظروا إلى فرعون معه هامان، وانظروا إلى الحجاج معه يزيد بن أبي مسلم؛ وهو شر منه، وانظروا إلى سليمان بن عبد الملك معه رجاء بن حيوة؛ فقومه وسدده»<sup>(٣)</sup>.  
قال الناظم:

**إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبُ خِيَارِهِمْ وَلَا تَصْحَبِ الأَزْدِي فَتَرْدِي مَعَ الرَّدِّي<sup>(٤)</sup>**

وربما تُسافرُ خارجَ بلدك، أو تلتحقُ بإحدى الجامعاتِ أو المُعسكراتِ، فتتعرَّفُ على شريحةٍ جديدةٍ من الناسِ، فلا تعصُ أصابعِ الندمِ بعدَ ذلك، فأنَّ تعيشَ وحدك أفضلُ من أن تعيشَ مع آلافٍ على غيرِ صلاحٍ وتقي.

(١) ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ١٦٥).

(٢) انظر: ديوان طرفة (ص: ٣٢)، وذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (٢/ ١٧٩) غير منسوب، ونسبه الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ١٦٦) لعدي بن زيد.

(٣) العزلة للخطابي (ص: ٤٧).

(٤) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (٢/ ١٧٩) غير منسوب، ونسبه الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص: ١٦٦) لعدي بن زيد.

الثمرة الثانية - وهي ثمرة عزيزة -: أنك ترى فيه عيوبك أنت، جبلة هكذا نحن خلقنا أن الإنسان لا يرى عيب نفسه، لكن يرى عيوب الآخرين؛ لذا اصحب الأختار الذين يجربونك عن عيوبك.

جاء في سنن أبي داود قال رسول الله ﷺ: «المؤمن من امرأة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه، يبصره بعيوبه»<sup>(١)</sup>.

لذا يروى عن علي رضي الله عنه: «صديقك من صدقك لا من صدقك»؛ أي: صاحبك هذا إذا رأى فيك زلة أخبرك.

وقد قيل: «اصحب من إذا رأى منك حسنة عدّها، ومن إذا رأى منك سقطة سترها»<sup>(٢)</sup>؛ وهذا هو الذي يصاحب، ويؤاخى، ويأشئ، هذا الصاحب ليس على أقل تقدير من أن إذا رأى منك سقطة دعا لك؛ لذا يقول ﷺ: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة»<sup>(٣)</sup>.

يُروى عن رجل يُقال له: «أبو حمدون» له صحيفة قد دون فيها أسماء إخوانه أكثر من ثلاثمائة اسم، كل ليلة في وقت السحر يُخرج هذه الورقة ويدعو لهم واحداً واحداً<sup>(٤)</sup>؛ وهذا هو الصاحب الذي تنتفع بصحبته.

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في النصيحة والحيطة، رقم (٤٩١٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإخوان رقم (٤٤).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم (٢٧٣٣)، من حديث أم الدرداء رضي الله عنها.

(٤) تاريخ بغداد (١٠/٤٩٥).

الشمرة الثالثة: أنك إذا رأيتهم ذكرت الله، فهناك أصحاب إذا رأيتهم ذكرت الله بسبب ما عندهم من الصلاح والتقى والهدى، فقد جاء عند أحمد، من حديث أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟» قالوا: بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

فالله الله أيها الأبناء، وأيها الشباب، والأخيار، الله الله بصحبة الصالحين. وكما أن لمجالسة الصالحين ثمرات، فلمجالسة أهل السوء أثرٌ خطيرٌ على جلسائهم، وأعظم هذه الآثار: أنه يصدك عن طاعة الله، ويحرفك عن صراطه المستقيم.

وانظر إلى هذا الرجل الذي كان قريباً من النبي ﷺ ودافع عنه، وعن دينه، وعن دعوته، وكان في مرحلةٍ من مراحل عمره أقرب إلى النبي ﷺ من كثيرٍ من الناس، ولكنه لم يتخل عن جلساء السوء، وهو عم النبي ﷺ أبو طالب، فقد كان قريباً من النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن دعوته، ودافع عنه، حتى كان يُشددُ أشعاراً يقول في بعضها:

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ      حَتَّى أَوْسَدَ فِي السُّرَابِ دَفِينَا  
وَدَعَوْتِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ      فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِينَا  
وَعَرَضْتَ عَلَيَّ دِينًا قَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّهُ      مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا

(١) أخرجه أحمد (٤٥٩/٦)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب من لا يؤبه له، رقم (٤١١٩)، من حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

لَوْلَا الْمَلَأَةُ أَوْ حِدَارٌ مَسْبِيَةٌ لَوْجَدْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ الدِّينِ مُبِينًا<sup>(١)</sup>

وحينما أدركته الوفاة وقبل أن يموت وقف النبي ﷺ على رأسه يقول: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، وعنده جُلساؤه الذين لم يتخلَّ عنهم: أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية يقولون له: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب، والنبي ﷺ يُرَدِّدُ على رأسه: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، حتى مات على ملة عبد المطلب<sup>(٢)</sup>.

فصاحبُ السوء يريد أن يراك على سوءٍ كما هو على السوء، قال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

فالذي يُدخِّنُ يريدُ منك أن تُدخِّنَ مثله، وكذلك الذي يشرب الخمر يريد أن تشرب الخمر مثله، والفاشل الخامل الذي لا يملك هدفًا في حياته يريد أن تكون مثله.

وصاحبُ السوء مُنصرفٌ إليك ما دامَ عندك نعمة، فإذا أقبَلتَ عليك النكبة انصرفَ عنك، وهذا لا يعرفه إلا العقلاء، حتى قيل: إنَّ أحدَ ملوكِ الهند قد نقشَ على فصِّ خاتمه حكمةً بالغةً قال فيها: «مَنْ وَدَّكَ لِأَمْرٍ وُلِّيَ مَعَ انْقِضَائِهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق (ص: ١٥٥)، وخزانة الأدب للبغدادي (٣/ ٢٩٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، رقم (٣٨٨٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، رقم (٢٤)، من حديث المسيب بن حزن رَوَاهُ عَنْهُ.

(٣) المجالسة للدينوري رقم (٥٢٥)، والعزلة للخطابي (ص: ٥٢).

هذا المجلس الذي إذا رأى عندك نعمةً أقبل عليك، وإذا رأى النعمة قد  
انصرفت عنك انصرف عنك هو صاحبُ السوء.  
وهذه النصيحة للبعد عن صاحبِ السوء ليست للأبناء ولا للشباب  
خاصةً، بل هي لنا جميعاً.







(٢٨)

## عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ

•• k ••

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَعُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ  
وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ  
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ  
الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ١٨ - ٢٠].

فإننا في هذه الدار نجمع لدارٍ أُخرى، فما نقدم من حسناتٍ وأعمالٍ صالحةٍ  
فإننا نضعه في خزائن الليل والنهار؛ وقد جاء في كتاب «الزهد» للإمام البيهقي  
رَحِمَهُ اللَّهُ عن مالك بن دينارٍ قال: «كان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: إنَّ هذا الليل والنهار  
خزانتان، فانظروا ما تَضَعُونَ فِيهِمَا، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اعمَلُوا لِلَّيْلِ لِمَا خُلِقَ لَهُ،  
واعملوا للنَّهَارِ لِمَا خُلِقَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

فالعاقل هو الذي يُبادرُ، ويسابقُ ويسارعُ إلى الخيراتِ مُسَارِعَةً وَيُسَابِقُ  
لأجلِ أمرِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى القائلِ في كتابه: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ  
مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة: ١٤٨].

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد رقم (٤٧٣)، والبيهقي في الزهد الكبير رقم (٧٨٠).

وقال رسول الله ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ»<sup>(١)</sup>، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ قَدْ تَحَوَّلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَيَّامِ الدَّهْرِ مُنَاسِبَاتٍ وَنَفَحَاتٍ، وَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يُبَادِرُ لِاسْتِغْلَالِ هَذِهِ الْمُنَاسِبَاتِ، وَالْإِنْعِمَاسِ فِي هَذِهِ النِّفْحَاتِ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يُوَجِّهُ إِلَى قَضِيَّتَيْنِ:

الأولى: قَالَ فِيهَا: «افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ»، أَي: كُنْ فَاعِلًا لِلْخَيْرِ فِي دَهْرِكَ كُلِّهِ.

والثانية: قَالَ فِيهَا: «وَتَعَرَّضُوا لِنَفْحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفْحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْ هَذِهِ النِّفْحَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ: أَيَّامُ الْعَشْرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يُسَابِقُ لِاسْتِغْلَالِهَا، وَالْمُسْتَمِرُّ هُوَ الَّذِي يُسَارِعُ لِلْمُبَادَرَةِ بِاِقْتِنَاصِ مَا فِيهَا مِنْ الْأَجْرِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَمَلٍ أَرْكَى عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الْأَضْحَى»<sup>(٣)</sup>.

فَأَيُّ خَيْرٍ تَصِيبُهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ هُوَ أَرْكَى عِنْدَ اللَّهِ وَأَعْظَمُ أَجْرًا؛ الصَّدَقَةُ،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم (١١٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٥٠، رقم ٧٢٠)، والبيهقي في الشعب رقم (١٠٨٣)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الدارمي رقم (١٨١٥)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه بنحوه البخاري: كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، رقم (٩٦٩).

والصلاة، والصيام، والإحسان، والبر، وفعل سائر الطاعات، كل ذلك من الخير  
هو عند الله في هذه العشر أركى وأعظم أجراً، فأين المشمرون؟!  
عشرة أيام إذا بلغك الله إياها فهذا خير، فربما لا يبلغ العبد هذه العشر في  
السنة القادمة، وهي عظمة عند الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، والعمل فيها أركى وأعظم أجراً.  
وإني أذكر بثلاثة أعمال فقط حري بالمؤمن ألا تفوته:

**أما العمل الأول:** فالصيام؛ لأنه من أعظم الأعمال الصالحة، وهو من أعظم  
الأعمال التي يحبها الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فإن كان بمقدورك أن تصوم في هذه الأيام كلها  
أو بعضها فبادر إلى الصيام، فإنه عمل صالح، لعل نفسك تقوى على الصيام ولا  
تقوى على كثرة قراءة القرآن، فعليك بالصيام، أو لعل نفسك تقوى على القيام  
ولا تقوى على الصيام، فعليك بالقيام، لكنني هنا أذكرك بالصيام الذي قال فيه  
النبي **ﷺ**: **«مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»** <sup>(١)</sup>  
هذا في أي يوم من أيام السنة، فكيف إذا كان في العشر!؟

فإذا لم تقوَ نفسك على الصيام فلا تفوت صيام يوم عرفة، فإنه اليوم التاسع  
قبل الأخير، وهو عظيم، وصيامه عظيم، قال فيه رسول **ﷺ**: **«صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ إِنِّي  
أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ»** <sup>(٢)</sup> إلا الحاج؛ فإنه لا يُشرع  
له الصيام في هذا اليوم، هذا عمل صالح واحد.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم (٢٨٤٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، رقم (١١٥٣ / ١٦٨)، من حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم (١١٦٢)، من حديث أبي قتادة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فانو الصيام من الآن، فإنك إذا نويت الصيام أجرك الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** على نيتك قبل عملك، ونيتك تنطلق من اليوم إذا نويت، وأجرك يبدأ من اليوم؛ لأن النية عبادة، والله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يأجرك على هذه العبادة.

العمل الثاني: الأضحية، وهو من الأعمال الصالحة، وهي مشروعة في هذه الأمة وجميع الأمم السابقة، قال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لأفراد هذه الأمة: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَسْ** ﴾ [الكوثر: ٢]، أي: هي مُرتبطةُ بصلاة العيد.

وقال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

ويبين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أن هذه السنة وهذا النسك موجود في الأمم السابقة، فقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْتَهُكُمُ إِلَهُهُ وَحَدِّثْ لَهُ: أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ** ﴾ [الحج: ٣٤].

وقد شجع النبي ﷺ على الأضحية بقوله وفعله: **أَمَّا فعله**: فقد أخبر عنه ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، فقال: أقام رسول الله ﷺ بالمدينة عشر سنين **يُضْحِي** <sup>(١)</sup>.

**أَمَّا قوله**: فقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ وَجَدَ سَعَةً لَأَنْ يُضْحِيَ فَلَمْ يُضَحِّ فَلَا يَحْضُرُ مُصَلَّانَا**» <sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٨)، والترمذي: كتاب الأضاحي، باب الدليل على أن الأضحية سنة، رقم (١٥٠٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢١)، وابن ماجه: كتاب الأضاحي، باب الأضاحي واجبة هي أم لا، رقم (٣١٢٣)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

فَتَصَوَّرَ لَوْ أَنَّكَ تَعِيشُ فِي عَصْرِهِ ﷺ، وَعِنْدَكَ مِنَ الْإِمْكَانَاتِ، وَمِنَ الْقُدْرَةِ مَا عِنْدَكَ الْيَوْمَ وَتَسْمَعُ هَذَا الْقَوْلَ: «مَنْ وَجَدَ سَعَةً لِأَنْ يُضَحِّيَ فَلَمْ يُضَحِّ فَلَا يُحْضِرُ مُصَلَّانَا».

وَمِنَ السُّنَّةِ: أَنْ يَأْكَلَ الْإِنْسَانُ مِنْ أُضْحِيَّتِهِ، وَهَذَا لَا يَتَأْتِي لِلَّذِي يَتَبَرَّعُ بِثَمَنِهَا، وَلَا لِلَّذِي يُوَكَّلُ الْجَمْعِيَّاتِ وَغَيْرَهَا، لَكِنْ هَذَا يَتَأْتِي لِلَّذِي يُيَاشِرُ أُضْحِيَّتَهُ بِنَفْسِهِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ الْأُضْحِيَّةِ: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]؛ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا»<sup>(١)</sup>.

فَكُلْ هَذِهِ الْأَدْلَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ تُرْشِدُكَ إِلَى الْأَكْلِ مِنْ أُضْحِيَّتِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ فِي هَذَا سِرًّا عَظِيمًا.

ثُمَّ اَعْلَمْ أَنَّ لِلْأُضْحِيَّةِ وَقْتَ ابْتِدَاءٍ وَلَهَا وَقْتَ انْتِهَاءٍ، لَا بُدَّ أَنْ تَقَعَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، فَإِذَا وَقَعَتْ قَبْلَ ذَلِكَ كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ الْمُضَحِّينَ يُضَحِّي لَيْلَةَ الْعِيدِ؛ لِثَلَا يَقَعَ فِي زَحَامِ يَوْمِ الْعِيدِ، يُقَالُ لَهُ: هَذِهِ لَيْسَتْ أُضْحِيَّةً؛ فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨] قَالَ: ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث، رقم (١٩٧١)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأضاحي، باب سنة الأضحية، (٥٥٤٦)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي رواية: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى»<sup>(١)</sup>.  
 والمشروع لمن أراد أن يضحّي: ألا يأخذ من شعره ولا من ظفره شيئاً؛ فإنّ  
 الذي أمر بذلك رسول الله ﷺ كما جاء في صحيح مسلم من حديث أمّ سلمة  
 رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمْ هَلَالَ ذِي الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ  
 يُضَحِّيَ، فَلْيُمْسِكْ عَن شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ»<sup>(٢)</sup>.

لكن من أخذ من شعره وأظفاره فإن هذا لا يمنع من الأضحية، فهذه عبادة  
 وتلك عبادة أخرى.

العمل الثالث - وهو من أيسر الأعمال، ولكنّه من أعظم الأعمال عند الله  
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ إنه الذكر، فذكرك لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في أيام العشر، هو مُعَظَّمٌ عِنْدَ الْحَقِّ  
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ فَضَلَ هَذِهِ الْأَيَّامِ قَالَ: «فَأَكْثِرُوا  
 فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ»<sup>(٣)</sup>؛ أي: أكثروا في كل أوقات هذه العشر  
 من التهليل والتكبير والتحميد.

وكذلك قال ﷺ: «مَا أَهْلٌ مُهَلٌّ قَطُّ إِلَّا بِشَرٍّ، وَمَا كَبَرٌ مُكَبَّرٌ قَطُّ إِلَّا بِشَرٍّ».

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأضاحي، باب ما يشتهي من اللحم يوم النحر، (٥٥٤٩)، من حديث  
 أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الأضاحي، باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وهو يريد التضحية أن  
 يأخذ من شعره، رقم (١٩٧٧/٤١).

(٣) أخرجه أحمد (٧٥ / ٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ»<sup>(١)</sup>.

وَأَكَّدَ مَا يَتَأَكَّدُ الذِّكْرُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ؛ لَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ»، سِوَاءٌ لِلْحَاجِّ أَوْ لِغَيْرِهِ، «وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>(٢)</sup>.

وَفِي الْحِتَامِ أَوْصِيكَ أَيُّهَا الْحَاجُّ، يَا مَنْ سَتَقِفُ -بِإِذْنِ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فِي صَعِيدِ عَرَفَةَ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، أَوْصِيكَ بِالذُّعَاءِ لِنَفْسِكَ، وَلِوَالِدَيْكَ، وَلِزَوْجِكَ وَلِقَرَابَتِكَ، وَأَوْصِيكَ بِالذُّعَاءِ لِإِلَادِكَ وَقِيَادَتِكَ، وَبِالذُّعَاءِ لِأَحْبَابِكَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَخْبَرَنَا بِخَبْرٍ عَظِيمٍ: أَنَّهُ قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِ يَوْمِ عَرَفَةَ حِينَمَا يَهْبُطُ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا يُبَاهِي بِهَذَا الصَّعِيدِ الْمُبَارَكِ مَلَائِكَتَهُ، يَقُولُ لَهُمْ فِي آخِرِ مَا يَقُولُ: «أَفِيضُوا عِبَادِي مَغْفُورًا لَكُمْ، وَلِمَنْ شَفَعْتُمْ لَهُ»<sup>(٣)</sup>.

فَاشْفَعُوا لِوَالِدَيْكُمْ، وَأَحْبَابِكُمْ، وَأَقَارِبِكُمْ، وَأَخْلَصُوا فِي الدُّعَاءِ لَهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَغْفِرُ بِذَلِكَ لَكُمْ وَهُمْ، وَفَضَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاسِعٌ، فَإِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.



(١) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٧٧٧٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفه، رقم (٣٥٨٥)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البزار في المسند (٣١٧/١٢)، رقم (٦١٧٧)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال رقم (٦١)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٢٩)

## فوائد ذكر الله

•• k ••

أيام الحج أيام عظيمة ومباركة، شعارها ذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**؛ هكذا قال الحق **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجِّ: ﴿وَيَذَكِّرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾** [الحج: ٢٨]؛  
 فأيام الحج أيام ذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** والعاقل هو الذي يَمَلأُ وقته بالذكر، جاء أعرابي  
 إلى النبي **ﷺ** فقال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: **«أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا  
 وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»**<sup>(١)</sup>.

وجاء ثلاثة نفر إلى النبي **ﷺ** ضيوفاً عنده، ولكنه ليس في بيته شيء، فقال: **«مَنْ  
 يَكْفِينِيهِمْ»**، قال طلحة: أنا يا رسول الله، فاستضافهم طلحة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في بيته، فبعث  
 النبي **ﷺ** بعثاً -أي: أرسل سرية- فخرج أحد الثلاثة في هذه السرية فقتل فاستشهد،  
 ثم أرسل نبينا **ﷺ** بعثاً آخر فخرج الثاني فقاتل فقتل فاستشهد، أمّا الثالث فمات على  
 فراشه، قال طلحة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: فرأيت في المنام أنني في الجنة وأرى هؤلاء الثلاثة، فإذا  
 بالذي مات آخرًا على فراشه يتقدمهم، وإذا بالذي مات ثانيًا يليه، وإذا بالذي مات  
 أولًا يليهما، فأنكرت ذلك، فجيئت إلى النبي **ﷺ** فقلت: يا رسول الله، رأيت كذا

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١١١ - ١١٢)، من حديث عبد الله بن بسر المازني **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.



وكذا. قال: «وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ، لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الْإِسْلَامِ لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ»<sup>(١)</sup>.

فالذكر له شأنٌ عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كيف لا والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وقد مرَّ رسول الله ﷺ على جبلٍ يقال له: جُمدانُ. فقال: «سِيرُوا، هَذَا جُمدانُ سَبَقَ المُفْرَدُونَ، سَبَقَ المُفْرَدُونَ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا المُفْرَدُونَ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»<sup>(٢)</sup>.

وأمسك رسول الله ﷺ معاذَ بنَ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «إِنِّي لِأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ، فَلَا تَدْعُ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: رَبِّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»<sup>(٣)</sup>.

وقد جعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للذكر فضائلَ مُتعددةً، منها:

الفضيلةُ الأولى: أَنَّ الذَّاكِرَ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَحْطَى وَيَفُوزُ بِمَعِيَةِ اللَّهِ، فَيُسَدِّدُهُ وَيُرْشِدُهُ وَيَهْدِيهِ، فَيَكُونُ مَعَهُ إِذَا نَظَرَ، وَمَعَهُ إِذَا تَكَلَّمَ، وَمَعَهُ إِذَا اسْتَمَعَ، وَمَعَهُ إِذَا اتَّخَذَ قَرَارًا، وَمَعَهُ فِي كُلِّ شَأْنِهِ.

لذا قَالَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٦٣)، من حديث عبد الله بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم (٢٦٧٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٧)، وأبو داود: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، رقم (١٥٢٢)، والنسائي: كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، رقم (١٣٠٣)، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأَ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأَ خَيْرٍ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح البخاريّ أيضًا يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»<sup>(٢)</sup>؛ إِنَّهَا إِذَا لَفْضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ.

الْفَضِيلَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ أَعْظَمُ الْحُصُونِ الَّتِي يُتَحَصَّنُ بِهَا مِنَ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْجُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ، فَكُنْ مِنَ الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ كَثِيرًا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حَيْثُ قَالَ: «الشَّيْطَانُ جَائِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَعَقَلَ وَسُوسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ»<sup>(٣)</sup>.

الْفَضِيلَةُ الثَّلَاثَةُ: أَنَّ دَعْوَةَ الذَّاكِرِ مُسْتَجَابَةٌ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُسْتَجَابَ دَعْوَتُكَ فَكُنْ مِنَ الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ كَثِيرًا، كَيْفَ لَا، وَرَسُولُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَرُدُّ اللَّهُ عَرَجَلٌ دُعَاءَهُمْ: الذَّاكِرُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَالْإِمَامُ الْمَقْسُطُ»<sup>(٤)</sup>.

وفي سنن الترمذيّ قال رسولُ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَحْيِبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، رقم (٧٤٠٥)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه معلقا البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾، (٩/ ١٥٣)، ووصله أحمد (٢/ ٥٤٠)، وابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الذكر، رقم (٣٧٩٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف رقم (٣٥٩١٩)، وأبو داود في الزهد رقم (٣٣٧).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم (٦٩٧٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

### الشَّدَائِدِ وَالكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدَّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»<sup>(١)</sup>.

الفضيلةُ الرابعةُ: وهي من أعظمِ الفضائلِ، وقد جمعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى في هذهِ الفضائلِ فضائلَ مُتعدِّدةً، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ، والحديثُ في صحيحِ مسلمٍ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»<sup>(٢)</sup>.

إنَّه ذَكَرُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَسْتَمْسِكَ بِهِ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ وَهَذِهِ الْعِبَادَةَ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَيْسَرِ وَأَخْفِّ الْعِبَادَاتِ، وَلَكِنَّهَا فِي الْمَوَازِينِ مِنْ أَثْقَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَهْمِّهَا وَأَعْظَمِهَا وَأَكْثَرِهَا أَجْرًا.



(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، رقم (٣٣٨٢)، من

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم (٢٦٩٩)، من

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



(٣٠)

## ولا تَغْضَبُ

•• k ••

الغضبُ نارٌ في القلبِ تلتهبُ، وهو سحابةٌ دخانٍ سوداءٌ، تُعمي الأبصارَ وتُصمُّ الأذنانَ، وهو سببٌ رئيسٌ لكلِّ بليةٍ ومُصيبةٍ، فالكثيرُ والكثيرُ من حالاتِ الهجرِ والطلاقِ وَقَعَتْ بسببِ الغضبِ، والكثيرُ مِنَ الأرحامِ والعلاقاتِ والصدقاتِ، والشركاتِ قُطِعَتْ بسببِ الغضبِ، والكثيرُ من حالاتِ الإيذاءِ والسبِّ والشتَمِ والضربِ، والقتلِ، وَقَعَتْ بسببِ الغضبِ.

وفي زمنِ النبي ﷺ جاء رجلٌ يقودُ رجلاً آخرَ فقال: يا رسولَ الله، هذا قتلٌ أخي. قال رسولُ الله ﷺ: «أَقْتَلْتَهُ؟» قال: نعم. قال: «لِمَ قَتَلْتَهُ؟»، قال: كنتُ أنا وإياه نختبِطُ من شجرةٍ -أي: يضرِبون بعصيٍّ أوراقِ الشجرِ وثماره، ليتساقطَ علفًا لدوابِّهم - فسبَّني فأغضبَني، فضرَبْتُهُ بالفأسِ على قرنيه فقتلْتُهُ<sup>(١)</sup>.

وصدقَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ الخليفةُ الراشدُ أميرُ المؤمنينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ حيثُ قال: «أولُّ الغضبِ جُنونٌ، وآخرُهُ ندمٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: كتاب القسامة، باب صحة الإقرار بالقتل، رقم (١٦٨٠)، من حديث وائل بن حجر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) ذكره ابن الجوزي في كشف المشكل (٣/٥٤٠)، نقلا عن بعض الحكماء. وذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى (٢/٥٦)، من وصية لقمان لابنه.

وانظُرْ إلى هؤلاء الَّذِينَ يُعَانُونَ الْآنَ مِنْ ثَوْرَةِ غَضَبٍ لِحِظَةٍ، كَيْفَ هُمْ فِي حَالَاتِ نَدَمٍ وَهُمْ فِي سِجْنٍ، أَوْ عَجْزٍ وَمَرْضٍ؛ لَذَا جَاءَتِ الْوَصِيَّةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤].

ولَمَّا أَرَادَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ يترجمَ لَنَا وَيفسِّرَ لَنَا هَذَا الْمَقْطَعِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ: «بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَبِالْعَفْوِ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ»<sup>(١)</sup>؛ أَي: ادْفَعْ بِحِلْمِكَ جَهْلَ مَنْ جَهَلَ عَلَيْكَ، وَادْفَعْ بِعَفْوِكَ إِسَاءَةَ مَنْ أَسَاءَ لَكَ، وَادْفَعْ بِصَبْرِكَ مَنْ تَطَاوَلَ عَلَيْكَ، هُنَا تَكُونُ النِّجَاةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ عَصَمَةُ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَحَرَمَهُ عَلَى النَّارِ: مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالشَّهْوَةِ وَالغَضَبِ»<sup>(٢)</sup>. وَالسَّبَبُ أَنَّ الَّذِي لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ حَالَةِ الْغَضَبِ يَنْدَمُ، وَلَكِنْ حِينَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ.

قَالَ التَّابِعِيُّ الْجَلِيلُ مُفْتِي مَكَّةَ فِي زَمَانِهِ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبِيعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أَبْكَى الْعُلَمَاءَ بِكَاءِ آخِرِ الْعَمْرِ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضِبُهَا أَحَدُهُمْ تَهْدُمُ عَمْرَ خَمْسِينَ سَنَةً، أَوْ سِتِينَ سَنَةً، أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً، وَرُبُّ غَضْبَةٍ أَقْحَمَتِ صَاحِبَهَا مَقْحَمًا مَا اسْتَقَالَه»<sup>(٣)</sup>.

أَي: رُبَّمَا يَغْضَبُ الْإِنْسَانُ غَضْبَةً وَاحِدَةً تَهْدُمُ مَا بَنَاهُ، فَقَدْ تَهْدُمُ مَجْدًا بِنَيْتِهِ فِي خَمْسِينَ سَنَةً، أَوْ بَيْتًا بِنَيْتِهِ مِنْدُ سِتِينَ سَنَةً، أَوْ شِرَاكَةً وَعِلَاقَةً لَكَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً، وَلِلْأَسْفِ فِي لِحِظَةٍ!.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٣٢/٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٥/٧)، وانظر: تفسير الماوردي (١٨/٥)، وتفسير القرطبي (٣٦١-٣٦٢).

(٢) أخرجه الدينوري في المجالسة رقم (٣٠٩٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٤٤/٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٣٧٤/١).

لذا قال ابن القيم في كتابه الممتع «الفوائد»: «يدخلُ الناسُ النارَ من ثلاثة أبوابٍ: بابٍ شُبِّهَتْ أَوْرَثَتْ شُكًّا في دينِ اللهِ، وبابٍ شَهْوَةٌ أَوْرَثَتْ تَقْدِيمَ الهَوَى على طاعتهِ ومَرْضَاتِهِ، وبابٍ غَضَبٍ أَوْرَثَتْ العُدْوَانَ على خَلْقِهِ»<sup>(١)</sup>.

والغضبُ حالةٌ تَعْتَرِي الإنسانَ، والإسلامُ لم يَمْنَعَهُ من حالةِ الغضبِ؛ لأنَّ هذا لا يمكنُ أن يُحْتَرَزَ مِنْهُ إِلَّا عِنْدَ النادرِ مِنَ الناسِ، فالَّذي يُسْتَغْضَبُ ولا يَغْضَبُ هذا قليلٌ، لكنَّكَ إِذَا غَضِبْتَ فَخُذْ بِهذِهِ الوصايا الأربعة:

الوصيةُ الأولى: ادْفَعْ أسبابَ الغضبِ بكلِّ ما أُوتيتَ من قوَّةٍ، وبأَيِّ طريقةٍ، فالأمرُ الَّذي يَغْلِبُ على ظَنِّكَ أَنَّكَ سَتَغْضَبُ فِيهِ تَجَنَّبْهُ، سواءً كانَ جوارًا، أو مكانًا، أو علاقةً؛ لأنَّكَ رُبَّمَا إِذَا غَضِبْتَ لا تَمْلِكُ نَفْسَكَ؛ لذا لَمَّا جاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ وقال: يا رسولَ اللهِ، أوصني. قال: «لَا تَغْضَبْ»، قال: يا رسولَ اللهِ أوصني. قال: «لَا تَغْضَبْ»، قال: يا رسولَ اللهِ، أوصني. يُكْرَرُها ثلاثَ مراتٍ، قال: «لَا تَغْضَبْ»<sup>(٢)</sup>.

وجاءَ رَجُلٌ آخَرُ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، أَخْبِرْني بِكَلِمَاتٍ أَعِيشُ بِهِنَّ ولا تُكْثِرُ عَلَيَّ فَأَنْسَى، قال ﷺ: «اجْتَنِبِ الغَضَبَ»، فأعادَها الرَجُلُ، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اجْتَنِبِ الغَضَبَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) الفوائد (ص: ٥٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم (٦١١٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٤٠٨/٥)، من حديث حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن رجل من أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

إِنَّهَا الْوَصِيَّةُ الْخَالِدَةُ: «اجْتَنِبِ الْغَضَبَ». أي: اجتنب أسباب الغضب، ثم إذا تحرّكت نفسك ونوازع الشرّ وخواطر السوء فادفعها، كما قال الحقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [فصلت: ٣٤]، هذه الوصية الأولى.

الوصية الثانية: إذا أغضبت فقل: أعودُ بالله من الشيطان الرجيم، هذه هي وصية رسول الله ﷺ ووصية الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** قبل ذلك، وتكرّر هذه الوصية في كتاب الله:

ففي سورة فصلت قال الحقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾** (٣٤) **وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا لَأَذْوٍ حَظِيٍّ عَظِيمٍ﴾** (٣٥) **وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [فصلت: ٣٤-٣٦].

وفي سورة الأعراف قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [الأعراف: ٢٠٠].

وقد اختصم في مجلس النبي ﷺ رجلان على مرأى ومسمع من النبي ﷺ، فاستبأ حتى غضب أحدهما واشتد غضبه فاحمر وجهه، وانتفخت أوداجه، والنبي ﷺ ينظر ويقول: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم (٦١١٥)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم (٢٦١٠)، من حديث سليمان بن صرد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

الوصية الثالثة: غيّر من حالِك، فإذا رأيتَ نفسك تُدفع للغضبِ فغيّر من حالِك، وقد ذكر لنا النبي ﷺ طريقين، فقال: **«إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيُضْطَحِّعْ»**<sup>(١)</sup>؛ وفي روايةٍ أخرى قال: **«إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ»**<sup>(٢)</sup>.

فإذا كنتَ في غرفةٍ فاخرج منها إلى غرفةٍ أخرى، وإذا كنتَ في موضوعٍ فغيّر الموضوع، وإذا كنتَ في طريقٍ فانتقل إلى طريقٍ آخر؛ فإن ذلك نافِعك بإذن الله، وسيقضي على كثيرٍ من حالاتِ الغضبِ.

الوصية الرابعة: استحضِر الأجر، فأنت إذا ملكتَ نفسك عند الغضبِ ارتفعتَ درجتك عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ونلتَ الأجرَ العظيمَ، وقد يتنوَّع الأجرُ: الأجرُ الأوَّل: أنك إذا ملكتَ نفسك عند الغضبِ فإنَّك مُحسنٌ، والله يُحِبُّ المُحسِنينَ، قال الحقُّ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في سورة آلِ عمران: **﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** [آل عمران: ١٣٤]؛ هذا أجرٌ.

الأجرُ الثاني: هذا الغضبُ الَّذي تتجرَّعُ ألمه يبدله الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** يومَ القيامةِ رجاءً ورضاً، قال رسولُ الله ﷺ: **«وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْضَاهُ»**؛ أي: ليس من ضعفٍ، ولا خوفٍ، إنَّما هو قادرٌ أن يردَّ الصاعَ صاعينَ، ويردَّ

(١) أخرجه أحمد (١٥٢/٥)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، رقم (٤٧٨٢)، من

حديث أبي ذر الغفاري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٩/١)، من حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**.



الإساءة عشر إساءاتٍ «مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>؛ وفي رواية: «مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رِضًا»<sup>(٢)</sup>.

فتذكر أنك إذا ملكت نفسك عند الغضب فُرتَ بالجنة، وقد جاء أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله، دُلّني على عملٍ يُدخِلني الجنة. قال: «لَا تَغْضَبُ وَلَكَ الْجَنَّةُ»<sup>(٣)</sup>.

بل قال ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ؛ دَعَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى رُؤُوسِ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ»<sup>(٤)</sup>، اللهُ أَكْبَرُ.  
الأجر الثالث: في رواية عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قلتُ: يا رسولَ الله، ما يمنعني من غضبِ الله؟ قال: «لَا تَغْضَبُ»<sup>(٥)</sup>؛ لأنَّ الجزاء من جنسِ العمل.

والأجور كثيرة، والنصيحة لا تغضب، واملِكْ نفسك عند الغضب، فإنك إذا أخذت هذه الوصايا والنصائح رشدت وفزت بجنة الدنيا والآخرة. وقد يتوهم بعض الناس أنه إذا ملك نفسه عند الغضب فهذا ضعف ومهانة وخور، وهذا وهم خاطئ، فإن الذي يملك نفسه عند الغضب هو القوي، فلا

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٥٣، رقم ١٣٦٤٦)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج رقم (٣٦)، من حديث عبد الله بن دينار، عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٢٣٥٣)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٠)، وأبو داود: كتاب الأدب، باب من كظم غيظًا، رقم (٤٧٧٧)، وابن

ماجه: كتاب الزهد، باب الحلم، رقم (٤١٨٦)، من حديث معاذ بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٥)، وابن حبان في صحيحه رقم (٢٩٦).

تُوذِيكَ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَتُصَوِّرُ لَكَ أَنَّكَ إِذَا انْتَصَرْتَ وَثُرْتَ وَأَخَذْتَ  
بِأَكْثَرِ مَنْ حَقَّكَ بِالْإِسَاءَةِ، وَالشَّتْمِ، وَالْقَذْفِ أَنَّ هَذَا دَلِيلُ قُوَّةٍ وَرُجُولَةٍ.  
فَقَدْ جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا جَاءَ إِلَى الصَّحَابَةِ: «فَمَا تَعُدُّونَ  
الصُّرْعَةَ فِيكُمْ؟» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ. قَالَ: «لَيْسَ بِذَلِكَ،  
وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»<sup>(١)</sup>؛ أَي: الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَى هَذِهِ  
النَّفْسِ وَيُقَيِّدَهَا بِقِيُودِ الشَّرْعِ الْحَكِيمِ.



(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم (٢٦٠٨)، من  
حديث عبد الله بن مسعود رَوَى اللَّهُ عَنْهُ.

## فهرس الموضوعات

الموضوع	• • k • •	الصفحة
١ - الإِخْلَاصُ سَفِينَةُ النَّجَاةِ.....		٩
الإِخْلَاصُ أَنْ تَكُونَ النِّيَّةُ مَتَجَرِّدَةً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.....		١٠
أسبابُ أهميَّةِ الإِخْلَاصِ: .....		١٠
أولاً: أَنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ بِهِ.....		١٠
ثانياً: تَوْقُفُ قَبُولِ الْعَمَلِ إِلَّا بِهِ.....		١١
ثالثاً: لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحْصَلَ الْإِنْسَانُ الْأَجْرَ إِلَّا بِهِ.....		١٢
رابعاً: حَتَّى تَرْتَاحَ النَّفْسُ.....		١٣
٢ - فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.....		١٤
الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى مِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ.....		١٤
«الحَفِيفُ» مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى.....		١٥
آثار اسم الله الحفيظ في حياتنا: .....		١٥
الأثر الأول: أَنْ نُوقِنَ أَنَّ مَا حَوْلَنَا مَحْفُوظُونَ بِحِفْظِ اللَّهِ.....		١٥
الأثر الثاني: أَنْ نُوقِنَ أَنَّ أَعْمَالَنَا مَحْفُوظَةٌ وَمُحْصَاةٌ.....		١٦
الأثر الثالث: بِقَدْرِ حِفْظِكَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ تُحْفَظُ.....		١٨
الأسباب المشروعة للحفظ من شرِّ الشيطان.....		١٨

- ٣- الصلاة أسرارٌ وحِكْمٌ ..... ٢١
- من أسرار الصلاة: ..... ٢١
- أولاً: أنّها بوابة دخول الإسلام بعد التوحيد ..... ٢١
- ثانياً: أنّها أعظم دعائم الإسلام ..... ٢١
- ثالثاً: أنّها من أعظم ما يُحفظ به الدين ..... ٢٢
- رابعاً: أنّها عمود الإسلام ..... ٢٢
- خامساً: أنّها قائدٌ تنقاد إليها سائر الأعمال ..... ٢٢
- سادساً: أنّها شريعة، وعبادة اتفقت عليها الشرائع ..... ٢٣
- سابعاً: أنّها تحفظ للعبد دينه، وعرضه، وماله ..... ٢٤
- ثامناً: أنّ صاحبها يكتب في الصديقين والشهداء ..... ٢٤
- تاسعاً: أنّها تطهرنا من الخطيئة ..... ٢٥
- ٤- وصيةُ والدٍ ..... ٢٧
- الوصية من أعظم أساليب تعليم الآباء لأبنائهم ..... ٢٨
- الوصية للأولاد عاملٌ مشتركٌ عند جميع الأنبياء والصالحين ..... ٢٨
- من وصايا النبي ﷺ لأصحابه ..... ٢٨
- من وصايا الصالحين لأبنائهم ..... ٣٠
- ٥- المنهج النبوي في تربية الشباب على الإيمان ..... ٣٢
- الشباب عماد الحضارات وسر نهضتها ..... ٣٢
- مواصفات المنهج النبوي في تربية شباب الصحابة: ..... ٣٣
- أولاً: غرس الإيمان في نفوسهم من الصغر ..... ٣٣

- ٣٥ ..... ثانيًا: يُريهم بوضوح وشفافية
- ٣٦ ..... ثالثًا: يَستخدم وسيلة الإيضاح المتوفرة في زمنه
- ٣٦ ..... رابعًا: استثمار الأوقات
- ٣٧ ..... خامسًا: استثمار الحدث
- ٣٨ - المنهج النبوي في تربية الصحابة على العبادة.....**
- ٣٨ ..... صور منهج النبي ﷺ في تربية أصحابه على العبادة:
- ٣٨ ..... الصورة الأولى: الاستفادة من مواسم الخيرات
- ٣٩ ..... الصورة الثانية: التربية باحتساب الأجر
- ٤٠ ..... الصورة الثالثة: التربية بمكانة العبادة ترغيبًا وترهيبًا
- ٤٢ ..... الصورة الرابعة: تصحيح مفهوم إتيان العبادة
- ٤٥ - تأملات في شهر الصيام.....**
- ٤٥ ..... المشهد الأول: ليس العبرة بإدراك شهر الصيام، وإنما العبرة بتحقيق المغفرة ..
- ٤٦ ..... المشهد الثاني: فُرص العتق من النيران تتكرر في كل يومٍ وليلة
- ٤٧ ..... المشهد الثالث: أجر الصيام وثوابه بيد الله سبحانه وتعالى
- ٤٧ ..... المشهد الرابع: أفراح المؤمنين في طاعته سبحانه وتعالى
- ٤٨ ..... المشهد الخامس: أسوار الصيام
- ٥٠ ..... المشهد السادس: مشهد في غاية الروعة أخبر به النبي ﷺ
- ٥٠ ..... المشهد السابع: في رمضان تتكس بعض القيم والمفاهيم والتصوّرات
- ٥٢ - يوم الجمعة.....**
- ٥٢ ..... المزايا التي ميز الله بها يوم الجمعة:

- الميزة الأولى: جعله الله عيداً للمسلمين ..... ٥٢
- الميزة الثانية: نهى الله عن الصيام فيه ..... ٥٣
- الميزة الثالثة: صلاة الفجر في يوم الجمعة أفضل الصلوات ..... ٥٣
- الميزة الرابعة: أن قراءة سورة الكهف فيه لها ميزة ..... ٥٤
- الميزة الخامسة: أنه سبب لتكفير الذنوب والخطايا ..... ٥٥
- الميزة السادسة: فضل الموت يوم الجمعة وليلته ..... ٥٥
- الميزة السابعة: أن الساعة تقوم في يوم الجمعة ..... ٥٥
- ٩- تأملات في ليلة القدر ..... ٥٨**
- اختار الله ليلة القدر وفضلها على سائر الليالي ..... ٥٨
- مجموعة من التأملات والمسائل في هذه الليلة: ..... ٥٨
- المسألة الأولى: لماذا سُميت بـ «ليلة القدر»؟ ..... ٥٨
- المسألة الثانية: متى تكون ليلة القدر؟ ..... ٦٠
- المسألة الثالثة: بماذا ميز الله ليلة القدر؟ ..... ٦٠
- المسألة الرابعة: في ليلة القدر محرومٌ ومرحومٌ ..... ٦٢
- ١٠- استشعار رقابة الرقيب سبحانه وتعالى ..... ٦٤**
- استشعار رقيبته سبحانه وتعالى ..... ٦٤
- أمور لغرس عبادة المراقبة: ..... ٦٥
- الأمر الأول: أن تُوقنَ أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما في نفسك قبل أن تنطق به .. ٦٥
- الأمر الثاني: أن تُوقنَ أن الله سبحانه وتعالى يسمع ما تقول ..... ٦٥
- الأمر الثالث: أن تُوقنَ أن الله يراك ..... ٦٥

- ثمراتُ استشعار رقايةِ الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ..... ٦٦
- الثمرَةُ الأُولَى: إتقان العمل..... ٦٦
- الثمرَةُ الثَانِيَةُ: الإخلاص في العمل..... ٦٦
- الثمرَةُ الثَالِثَةُ: الخوف من الله..... ٦٧
- ١١ - حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ** ..... **٦٩**
- الحَقُّ الأَوَّلُ: الإيمانُ به سُبْحَانَهُ ..... ٦٩
- الحَقُّ الثَانِي: الاستقامةُ على دِينِ اللَّهِ ..... ٧١
- الحَقُّ الثَالِثُ: أَنْ تُسَارِعَ بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ ..... ٧٢
- الحَقُّ الرَّابِعُ: أَنْ تُحِبَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ..... ٧٣
- ١٢ - شَجَرَةُ الإِخْلَاصِ (١)** ..... **٧٤**
- الإِخْلَاصُ هُوَ حَقِيقَةُ الدِّينِ ..... ٧٤
- من ثمرات الإخلاص: ..... ٧٥
- الثمرَةُ الأُولَى: دخولُ جناتِ النعيمِ ..... ٧٥
- الثمرَةُ الثَانِيَةُ: قبولُ العملِ ..... ٧٦
- الثمرَةُ الثَالِثَةُ: الفورُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ ..... ٧٦
- الثمرَةُ الرَّابِعَةُ: النصرُ والتمكينُ ..... ٧٧
- الثمرَةُ الخَامِسَةُ: يوضعُ للمخلصِ القبولُ والرضا في الأرضِ ..... ٧٧
- الثمرَةُ السَّادِسَةُ: النيةُ قد تنالُ بها الأجرَ دونَ العملِ ..... ٧٨
- ١٣ - شَجَرَةُ الإِخْلَاصِ (٢)** ..... **٨٠**
- بعضِ وسائلِ تحصيلِ الإخلاصِ: ..... ٨٠

- ٨٠ ..... الوسيلة الأولى: عليك بتعظيم الله سبحانه وتعالى
- ٨١ ..... الوسيلة الثانية: تعرّف على الإخلاص وأهميته
- ٨٢ ..... الوسيلة الثالثة: تعلم كيف تخلص
- ٨٣ ..... الوسيلة الرابعة: كيف تُخلص؟
- ٨٤ ..... الوسيلة الخامسة: كيف تُحصل الإخلاص؟
- ٨٥ - ١٤ - احذروا القصاص يوم القيامة.....**
- ٨٦ ..... صور من القصاص يوم القيامة:
- ٨٦ ..... الصورة الأولى: القصاص في الدماء
- ٨٨ ..... الصورة الثانية: الذي يغترُّ بقوته وسُلطانه فيضربُ الآخرين
- ٨٩ ..... الصورة الثالثة: الذين ينتهكون الأعراض
- ٩١ - ١٥ - الاجتهاد في شعبان.....**
- ٩١ ..... لماذا هذا الاهتمام بشهر شعبان؟
- ٩١ ..... المسألة الأولى: في شهر شعبان فرصةٌ أن نعتاد الخيرَ
- ٩٢ ..... المسألة الثانية: أيام شهر شعبان أشبه ما تكونُ بفترة الإحماء
- ٩٤ ..... المسألة الثالثة: أنه شهرٌ ترفعُ فيه الأعمالُ
- ٩٤ ..... ليلة النصفِ من شعبان
- ٩٦ - ١٦ - صيام الجوارح، مفهوم آخر للصيام.....**
- ٩٧ ..... صيام اللسان
- ٩٨ ..... صيام الأذن
- ٩٩ ..... صيام العين



- ١٠٠..... صيامُ البطنِ
- ١٠١..... كيفَ أروّضُ هذه الجوارحَ أن تكونَ طائعةً لله تبارك وتعالى؟
- ١٧ - مَنْ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ؟ ..... ١٠٢**
- ١٠٣..... من الأحوال التي تُفْتَحُ فيها أبوابُ السماءِ:
- ١٠٣..... الحالُ الأولى: إذا نُودِيَ بالصلاةِ
- ١٠٣..... الحالُ الثانيةُ: في مُتَّصِفِ الليلِ
- ١٠٤..... الحالُ الثالثةُ: يَوْمِ الاثْنَيْنِ وَيَوْمِ الخَمِيسِ
- ١٠٤..... الحالُ الرابعةُ: عند ذِكرِ الله تبارك وتعالى
- ١٠٥..... الحالُ الخامسةُ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ
- ١٨ - هُمَا طَرِيقَانِ وَمَأْلَانِ وَالخِيَارُ لَكَ (١) ..... ١٠٧**
- ١٠٧..... ينقسم الناسُ إلى فَرِيقَيْنِ؛ فريقِ الاستقامةِ، وفريقِ الزيغِ والضلالِ
- ١٠٨..... اختلاف المآل عند قبض الروحِ
- ١٠٩..... مشاهد لنزول الملائكة عند قبض الروحِ
- ١٩ - هُمَا طَرِيقَانِ وَمَأْلَانِ وَالخِيَارُ لَكَ (٢) ..... ١١٢**
- ١١٢..... اختلاف المآل في القبرِ
- ١١٣..... اختلاف المآل عند انشقاق القبور عن أصحابها
- ١١٤..... اختلاف الناس في أرضِ المحشرِ
- ٢٠ - هُمَا طَرِيقَانِ وَمَأْلَانِ وَالخِيَارُ لَكَ (٣) ..... ١١٨**
- ١١٨..... اختلاف الناس في استلام الكتبِ يوم القيامةِ
- ١٢٠..... اختلاف الناس عند الميزانِ

- ١٢١..... تمايز الناس عند حوضِ النبي ﷺ
- ١٢٢..... تمايز الناس عند الصراط
- ١٢٤..... ٢١- هُما طَرِيقانِ وَمَا لَآنِ وَالخيارُ لَكَ (٤)
- ١٢٤..... تمايز الناس على أبوابِ جَهَنَّمَ أو على أبوابِ الجَنَّةِ
- ١٢٦..... مشاهد لأهل الجَنَّةِ وأهل النار
- ١٣٠..... ٢٢- وَلَا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
- ١٣٠..... شاسُ بنُ قيسِ اليهودي وحِقْدُه على اجتماعِ الصَّحابة
- ١٣٢..... لماذا لا نَجتمعُ وديننا واحدٌ؟
- ١٣٢..... لماذا لا نَجتمعُ ورسولنا واحدٌ ﷺ؟!
- ١٣٣..... لماذا لا نَجتمعُ وكتابنا واحدٌ؟!
- ١٣٣..... لماذا لا نَجتمعُ وأبونا واحدٌ؟!
- ١٣٣..... لماذا لا نَجتمعُ وما من عبادةٍ إلا وهي تصبُّ في تقويةِ اجتماعِ الكلمة؟!
- لماذا لا نَجتمعُ ونصوصُ الكتابِ والسُّنةِ، وأقوالُ سلفِ الأُمَّةِ كُلِّها تُرشدُ إلى ذلك؟!
- ١٣٤.....
- ١٣٦..... ٢٣- احذروا الفُحشَ والتَّفحُّشَ
- ١٣٦..... في المِحْنِ والأزماتِ والشَّدائدِ تتساقطُ الأقنعةُ
- ١٣٦..... الفُحشُ والتَّفحُّشُ هي الظاهرةُ التي تطفو على السطحِ دائماً في الأزماتِ
- ١٣٧..... التحذيرُ مِنَ الفواحشِ
- ١٤٠..... قضيتانِ لا بُدَّ أن تتبَّهَ إليهما:
- ١٤١..... الأولى: أنَّهُناكَ مَنْ يَسعى في الوشايةِ بينَكَ وبينَ أخيكَ

- الثانية: مَنْ قَالَ لَكَ: إِنَّ الْقُوَّةَ أَنْ تَرَدَّ الصَّاعَ صَاعَيْنِ؟ ..... ١٤١
- ٢٤- وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ..... ١٤٢**
- الفُجُورُ فِي الْخُصُومَةِ يَجِدُ لَهُ مَكَانًا وَاسِعًا فِي وَقْتِ الْفِتَنِ وَالْأَزْمَاتِ ..... ١٤٢
- الفُجُورُ فِي الْخُصُومَةِ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُنَافِقِينَ ..... ١٤٢
- التحذيرُ مِنَ الفُجُورِ فِي الْخُصُومَةِ ..... ١٤٣
- عَدَمُ رَدِّكَ عَلَى مَنْ يَسْتَفْزُكَ لَيْسَ ضَعْفًا ..... ١٤٦
- ٢٥- ثُمَّ اسْتَقَامُوا..... ١٤٩**
- الاستقامةُ عَلَى دِينِ اللَّهِ سَبَبٌ رَئِيسٌ فِي سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ..... ١٤٩
- أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْإِسْتِقَامَةِ ..... ١٥٠
- الاستقامةُ هِيَ تَوْحِيدُ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وَإِفْرَادُهُ بِالْخَلْقِ وَالْعِبَادَةِ ..... ١٥٠
- الاستقامةُ شَأْنٌ عَظِيمٌ ..... ١٥١
- أَعْظَمُ مَا يَهْدِدُ الْإِسْتِقَامَةَ هُوَ هَذَا اللِّسَانُ! ..... ١٥٣
- ٢٦- خُلِقَ الْحَيَاءُ..... ١٥٤**
- خُلِقَ الْإِسْلَامُ الْحَيَاءُ ..... ١٥٤
- الحياءُ خُلِقَ يَحِبُّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ..... ١٥٤
- الحياءُ لَا يُعَابُ ..... ١٥٥
- كَلِمًا كَانَ الْإِنْسَانُ حَيًّا كَانَ قَرِيبًا مِنَ اللَّهِ ..... ١٥٥
- لِمَاذَا الْحَيَاءُ؟ ..... ١٥٧
- أَوَّلًا: لِأَنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ ..... ١٥٧
- ثَانِيًا: لِأَنَّ الْحَيَاءَ زِينٌ ..... ١٥٨

- ٢٧- **الصاحبُ صاحبٌ**..... ١٦٠
- ١٦٠..... اختيارُ المجلسِ الصالح
- ١٦١..... ثمراتُ المجلسِ الصالح:
- ١٦١..... الثَّمَرَةُ الأُولَى: تتأثَّرُ بِصِلاحِهِ
- ١٦٣..... الثَّمَرَةُ الثَّانِيَةُ: تَرى فِيهِ عِيوبَكَ
- ١٦٤..... الثَّمَرَةُ الثَّالِثَةُ: إِذَا رَأَيْتَهُ ذَكَرْتَ اللهُ
- ١٦٤..... الأثارُ الخَطيرةُ لِجِالسَةِ أهلِ السوءِ
- ٢٨- **عَشْرُ ذِي الحِجَّةِ**..... ١٦٧
- ١٦٧..... العاقلُ هو الَّذي يسابِقُ ويسارِعُ إلى الخيراتِ
- ١٦٨..... مِنَ النِّفحاتِ الرِّبَّانِيَةِ أيامُ العَشْرِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ
- ١٦٩..... ثلاثةُ أعمالٍ حَرِيٍّ بِالْمُؤْمِنِ أَلَّا تَفُوتَهُ:
- ١٦٩..... العَمَلُ الأَوَّلُ: الصِّيَامُ
- ١٧٠..... العَمَلُ الثَّانِي: الأُضْحِيَّةُ
- ١٧٢..... العَمَلُ الثَّالِثُ: الذِّكْرُ
- ١٧٣..... وصيةٌ لِلحاجِّ الواقِفِ فِي صَعِيدِ عَرَفةَ
- ٢٩- **فوائِدُ ذِكْرِ اللهِ**..... ١٧٤
- ١٧٥..... مِنَ فَضائلِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى:
- ١٧٥..... الفَضيلةُ الأُولَى: أَنَّ الذَّاكِرَ يَحْظَى وَيَفوزُ بِمِيعَةِ اللهِ
- ١٧٦..... الفَضيلةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ أعْظَمُ الحُصونِ الَّتِي يُتَحَصَّنُ بِها مِنَ وساوسِ الشيطانِ
- ١٧٦..... الفَضيلةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ دَعْوَةَ الذَّاكِرِ مُسْتجابَةٌ

- الفضيلة الرابعة: جمع الله - تبارك وتعالى - للذكر فضائل متعددة..... ١٧٧
- ٣٠- ولا تغضب..... ١٧٨**
- الغضب سبب رئيس لكل بلية ومصيبة..... ١٧٨
- الوصايا الأربع عند الغضب: ..... ١٨٠
- الوصية الأولى: ادفع أسباب الغضب..... ١٨٠
- الوصية الثانية: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..... ١٨١
- الوصية الثالثة: غير من حالك ..... ١٨٢
- الوصية الرابعة: استحضِر الأجر ..... ١٨٢
- أجر من ملك نفسه عند الغضب: ..... ١٨٢
- الأجر الأول: أنك محسن، والله يحب المحسنين..... ١٨٢
- الأجر الثاني: يبدله الله - تبارك وتعالى - يوم القيامة رجاء ورصًا ..... ١٨٢
- الأجر الثالث: الجزاء من جنس العمل ..... ١٨٣

